الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

The People's Democratic Republic of Algeria

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

Ministry of Higher Education and Scientific Research

NaamaUniversity Centre Salhi Ahmedالمركز الجامعي _صالحي أحمد _النعامة _

قسم اللغة والأدب العربي معهد الآداب واللغات

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي بعنوان:

الخطاب الأنثوي في الشعر الجاهلي من منظور الانساق المضمرة نماذج مختارة

ميدان اللغة والأدب العربي شعبة الدراسات الأدبية تخصص أدب عربي حديث ومعاصر.

إشراف الأستاذ: د. بكري هشام

إعداد الطالبة : مكاوي إيمان

لجنة المناقشة

الإسم واللقب	الصفة
أ.د هشام بكري	مشرفا
أ.د بشير دردار	رئيسا ومقررا
أة.د أمينة بلهاشمي	مناقشا

الموسم الجامعي 1445هـ الموافق2024/2023م

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

المركز الجامعي صالحي أحمد – النعامة –

معهد الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

تصريح شرفي

خاص بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لإنجاز بحث

أنا الممضي أسفله :

السيد (ة) : ايمان عكاوي

الصفة (طالب – أستاذ – باحث) طالبة

الحامل (ة) لبطاقة التعريف الوطنية رقم : 200600091

الصادرة بتاريخ : 21/09/2023 بالمديرية ولاية النعامة

المسجل (ة) بكلية / معهد : اللغة والأدب العربي

قسم : أدب حديث ومعاصر

والمكلف (ة) بانجاز أعمال بحث (مذكرة التخرج – مذكرة ماستر – مذكرة ماجيستير – أطروحة دكتوراه) عنوانها : الخطاب الروائي النسوي في المغرب العربي من منظور الأسلوبية المعرفية - نماذج مختارة

أصرح بشرفي أني ألتزم بمراعاة المعايير العلمية والمنهجية ومعايير الأخلاقيات المهنية والنزاهة الأكاديمية في إنجاز البحث المذكور أعلاه .

التاريخ : 29/05/2024

توقيع المعني

بسم الله الرحمن الرحيم
١٤٢٠

شكر وعرفان

قال رسول الله ﷺ :

"من لم يشكر الناس لم يشكر الله "

صدق رسول الله ﷺ

الحمد لله على توفيقه ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيما لشأنه وأشهد أن محمدا عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه صلى الله عليه وعلى أله وصحبه

بعد شكر الله سبحانه وتعالى فإنني أتوجه بالشكر لكل من كان عونا لي في إنجاز هذا البحث وإتمامهوإخراجه على هذه الصورة التي أرجو أن تكون مرضية.

وأخص بالشكر الجزيل إلى من شرفني إشرافه على مذكرة بحثي الأستاذ الدكتور "هشام بكري" الذي قام بمتابعته وقراءته وإرشادي بالنصح بتوجيهاته التي لا تقدر بثمن والتي ساهمت بشكل كبير في إتمام هذا البحث، فله مني الثواب الجزيل .

كماأتوجه بشكري لكل من ساعدني من قريب أو بعيد على استكمال عملي هذا

"ربي أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه وادخلي برحمتك في عبادك الصالحين "

إهداء

الحمد لله في البدء والختام

{وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين}

بكل حب أهدي ثمرة تخرجيإلى:

منْ قال فيهم الله تعالى: { وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا }

إلى من زين اسمي بأجمل الألقاب وسعى وشقي لأنعم بالراحة إلى من علمني أن النجاح لا يأتي إلا بالصبر والإصرار والدي رحمه الله

إلى من جعل الله الجنة تحت أقدامها إلى من حاكت سعادتي بخيوط منسوجة من قلبها إلى من سهلت علي الصعاب بدعائها أمي حفظها الله

إلى من شددت عضدي بهم رياحين حياتي فكانوا لي ينابيع ارتوي منها إخوتي الأعزاء{ عبد الحق – بومدين – لخضر – شيخ – محمد }

إلى مصدر قوتي الداعمين لي إلى من أظهروا لي كل ما هو جميل أخواتي حفظهن الله { صورية – هناء- هوارية- فتيحة -ريتاج ملك }

إلى من اعتبرهن مثل أخواتي { أشواق – رحاب – مريم – نجاة – أحلام –خيرة – هدايات }

إلى كتاكيت العائلة { زيد – ياسين – بيسان – ابتهال – عبد السميع – عبد الرزاق – منصور – ضحى – محمد كنان – احمد – حسام }

إلى رفيقات دربي وتوأم حياتي وصديقات العمر{ رانيا – ياسمين }

أهديكم هذا الإنجاز وثمرة نجاحي الذي لا طالما تمنيته فالحمد لله على ما وهبني وأن يعينني و يجعلني مباركة أينما كنت

إيمان مكاوي

النعامة في: 2024/05/26

مقدمة

مقدمة :

الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ،ملك يوم الدين ،نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ونصلي على سيد الأنام محمد بن عبد الله حامل الرسالة ومعلم البشرية ، اللهم صلي وسلم وبارك على اله وأصحابه ومن تمسك بهديه وشريعته إلى يوم الدين : أما بعد

فإن المرأة عصب الحياة وقلبها النابض ، فوجودها أساسي إذْ بها تستمر الحياة وتكتمل ، فالتمييز الموجود في قوله تعالى { وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ} ماهو إلا صفة تكامل وترابط، فالمرأة مخلوق له جميع الحقوق التي أمر الله تعالى بها ، لكن شاع في المجتمعات البشرية التعدي عليها وتهميشها نتيجة فرض العادات والتقاليد التي حطت من قيمتها وحرمانها وإهمالها، فلم يكن لها أي كيان أو حضور في المجتمع ، فقد تعرضت لأقسى وأبشع أشكال الظلم ، وهذا ما جعل الأنثى تقبع الهامش في جميع المجالات ، ولعل مجال الإبداع الأدبي قد صور هذه الحقيقة وكشف حجم التمييز والتفرقة التي تعرضت لها الأنثى في ميدان الأدب والشعر ،وجعل الرجل المهيمن الأول على هذا المجال حاجبا إبداع المرأة وإنتاجها ، وعلى الرغم من الكم الهائل من المواقف السلبية التي تعرضت لها المرأة إلا أنّها قامت ورفضت الرضوخ لهذا الاستحقار.

ظلت المرأة تسعى للبقاء حاضرة في وسط لا يعترف بجودتها الأدبية، وقد خلفت تراثا أدبيا كبيرا رغم نقص التدوين والجمع ، إلا أنّه تردد ذكر بعض الشواعر في أمهات الكتب كالخنساء، وصفية الشيبانية ،وجليلة بنت مرة ،وغيرهن .

فالنقص الإبداعي للمرأة ورواج فكرة الإجحاف لحقها أثارت فضولي، ودفعتني للبحث في هذا المجال ورغبة مني في دراسة هذا الموضوع المتعلق بالمرأة وإبداعاتها ، كما استوقفني تهميش المرأة في الساحة الأدبية ، والكشف عن الأنساق المضمرة ، فتشكل حينئذ موضوع بحثي المتمثل في : الخطاب الأنثوي في الشعر الجاهلي من منظور الأنساق المضمرة نماذج مختارة .

ورغبة مني الوقوف على :

- منزلة المرأة في العصر الجاهلي
- إثبات المرأة لذاتها من خلال غرض الرثاء
- حجم شجاعة المرأة في خطابها الشعري
- الخطاب الأنثوي من منظور الأنا الذكوري

وقد تمحورت هذه إشكالية الدراسة حول جملة من التساؤلات وهي :

ماهو دور المرأة العربية في الحياة الأدبية ؟

وما مفهوم الخطاب الأنثوي ؟

وما طبيعة الأنساق المضمرة التي يخفيها الخطاب الأنثوي ؟

وهل تمكنت المرأة من التعبير عن كيانها وفرض نفسها في ظل هيمنة الخطاب الذكوري والشاعر الفحل ؟

وقد اقتضت طبيعة الموضوع على خطة بحث مكونة من المقدمة والمدخل وفصلين تليهما خاتمة، فالمدخل تناولت فيه منزلة المرأة في العصر الجاهلي ومكانتها الأدبية ، أما الفصل الأول عبارة عن ضبط المفاهيم والمصطلحات ، والفصل الثاني التطبيقي أدرجت تحته ثلاث عناوين :

الأول : الرثاء ودلالات توكيد الذات

الثاني : دلالات الشجاعة وخطاب الذكورة

الثالث : الخطاب الأنثوي من منظور الأنا الذكوري

وتصادف في موضوعي الاعتناء السابق بدراسة الأدب النسوي على نحو الأستاذ بشير يموت ، وجورج غريب في عمله المعنون بشاعرات العرب في الجاهلية ، ولويس شيخو في مراثي شواعر العرب ، والدكتورة مي يوسف خليف في الشعر النسائي في أدبنا القديم وغيرهم .

وللعلم فإنّ طبيعة العمل اقتضت الاستعانة بالمنهج الوصفي لتتبع نماذج مختارة محاولين تحليلها والوقوف على دلالتها بين الذكورة والأنوثة بما يستوجب الأنساق المضمرة.

ومن أهم الصعوبات التي واجهتني في بحثي ضيق الوقت أمام ثراء المادة العلمية،وفي الكثير من الأحيان وجدت نفسي عاجزة أمام شرح، وتحليل ،واستخراج الأنساق المضمرة لأن النصوص الشعرية على الرغم من توفر موادها، و نصوص شرحها إلا أنها تفتقر إلى فك رموزها، خاصة من باب الأنساق المضمرة بمفهومها المعاصر.

قد اعتمدت في بحثي هذا على مجموعة من المصادر والمراجع أهمها كتاب الأغاني لأبي فرج الأصفهاني، وأشعار النساء للمرزباني ، وكتاب الذر المنثور في طبقات ربات الجذور لزينب فواز وكتاب ابن قتيبة الشعر و الشعراء . بالإضافة إلى ديوان عنترة بن شداد ، وديوان امرؤ القيس، ديوان الأعشى وغيرهم

وفي الأخير فإني لا أدعي في هذه المذكرة أني بلغت الهدف كاملا ، وأني لا أبتهل إلى الله الحق والصدق والصواب ، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

مكاوي إيمان

28/05/2024

مدخل: المرأة العربية وإبداعها الأدبي

أولا : المرأة عند العرب

ثانيا : مكانة المرأة العربية في الساحة الأدبية

المدخل :

تجلت إرادة الخالق سبحانه وتعالى في إعمار الأرض بخلقة أدم وحواء ، وبث فيها رجالا ونساء لقوله تعالى :{ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ }[1]

فبعد أن كرم الله سبحانه وتعالى أدم وحواء وأعد لكل منهما وظيفة خاصة بهما دون تمييز بينهما، لكن شاءت الأقدار للمرأة عبر العصور أن تحتقر وتضطهد وتسلب حريتها، ويستأثر الرجل بأغلب هذه الحقوق

أولا : المرأة عند العرب

المرأة عند العرب في الجاهلية الأولى لم تلق التكريم اللائق بها ، بل كانت مهانة ومحتقرة وقد كانوا يحرصون على كثرة إنجاب البنين في حين يكرهون ولادة الإناث ، لأنّهن لا يستطعن أن يمنعن الحمى ولا فائدة منهن عندما تتأزم الأمور وهنّ بعد ذلك هدف العدو[2]، لذلك لاقت المرأة ألوانا من الظلم ،والاضطهاد ، والمهانة، والإذلال وقد اشتهر وأد البنات ، فالقران قد شهد بهذا المشهد البغيض الذي كان ينتظر الأنثى ساعة ولادتها في قوله تعالى { وَإِذا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ * يَتَوارى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ ما بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرابِ أَلا ساءَ ما يَحْكُمُونَ}[3]

ولم تكن مهانة المرأة تقف على هذا ، فقد كانت تشمل كل جوانب حياتها كذلك حرمانها من ابسط الحقوق، فوجودها غير مرغوب فيه تساق للموت رغم أنها سبب من أسباب الحياة ، فالمرأة عند العرب قديما لم تخلق إلا للمتعة والخدمة والإنجاب ولهذا لم يقيموا لها وزنا ولا اعتبار فهي معدومة الكرامة .

لكن لم تعش كل نساء الجاهلية هذه المعاناة ، فقد حظيت بعضهن بقدر لا بأس به من الرفعة ، واحتلت مكانة مميزة وسط قبيلتها ، فكان يؤخذ برأيها ومشورتها في شأن زواجها :"إذ أن المرأة في الجاهلية كانت حرة في اختيار زوجها بدون أقل معارضة من ذويها ، وكانت تعرض يدها أحيانا على من تختاره من الرجال".[4]

---

[1]:{ سورة الروم الأية }21

[2]: عوفي حسن عاشور صفاء، قضايا المرأة المسلمة والغزو الفكري ، رسالة الماجستير ، جامعة غزة، 2005م، ص5

[3]: {سورة النحل الأية 58-}59

[4]: علي عثمان ، المرأة العربية عبر التاريخ، دار التضامن، بيروت ،1976م، ص52

ومن تقدير بعض العرب للمرأة كذلك نجد أنهم كانوا ينسبون اسم ابنها إليها ، وهذه المكانة التي حصدتها المرأة العربية بين بعض القبائل لتلك الظروف والأسباب التي عاشت في كنفها من نسب شريف وعيش رغيد .

ثانيا : مكانة المرأة العربية في الساحة الأدبية

عمدت المرأة على الانفتاح على المجتمع واقتحمت ميادين العلم والأدب باعتبارها عنصرا فعالا في المجتمع فلجأت المرأة العربية للتعبير عما في داخلها من ألام ، حيث كانت ذات حس مرهف وشعور متدفق ومن هنا تأتي مساهمة المرأة في إثراء المكتبة الأدبية العربية متناولة لجميع الأغراض والفنون ، فقررت المرأة خوض واقتحام هذه الساحة الأدبية التي يتبارى فيها الفحول ،واتخذت من الشعر متنفسا لها وقت السراء والضراء وبالعودة إلى المصادر وأمهات الكتب نجد أن هناك العديد من الشواعر ، فالمرأة العربية نظمت الشعر واتخذته وسيلة لإثبات ذاتها والإعلاء من شأنها .

فشعر المرأة قد لعب دورا هاما وكان ذو أثر جلي على بعض الشعراء ، منهم الشاعر الكبير أبو نواس الذي اعترف في مقولة له أن شعر المرأة كان سببا في نظمه للشعر، يقول في ذلك :" ما قلت الشعر حتى رويت لستين امرأة منهن الخنساء وليلى ".[1]

وماذهب إليه أيضا الشاعر أبو تمام في قوله :" لم أنظم الشعر حتى حفظت سبعة عشر ديوانا للنساء ..."[2] ومن خلال هذين القولين نلمس دليلا قاطعا أن المرأة قد أبدعت وارتجلت الشعر وذلك بوجود عدد من الشواعر الذي يفوق عددهم الستين شاعرة ، وكان هناك العديد من الشاعرات مجهولات الاسم ولم يصلنا إلى ديوانين (ليلى و الخنساء)وإن غيابها عن الساحة الأدبية راجع لتهميشها من قبل النقاد والمدونين وهذا ما أوضحه بشير يموت : " إن الشعر العربي النسائي مهضوم الحق ومهيض الجناح قديما وحديثا ، فما تكاد تجد ديوانا لشاعرة ، أو مجموعة لنابغة ، أهمل ذلك الأولون ومضى على أثارهم المتأخرون ، وأنت إذا تصفحت مختارات الشعراء كالحماسة لأبي تمام والبحتري وغيرهما من الأقدمين ، أو مختارات البارودي وأمثاله المتأخرين ، لا تجد في كل شيء حتى في الأدب والشعر ".[3]

بمعنى أن المرأة تعرضت لنوع من التهميش في حياتها من كل الجوانب ، الجانب المعيشي والجانب العلمي ،ولم تحظ بالاهتمام من قبل الدارسين ولم ينصفها التاريخ على خلاف الرجل الذي حظي بمكانة عريقة في

---

[1]:مصطفى صادق الرافعي ، تاريخ آداب العرب ، دار الكتاب العربي ، لبنان،م3 ،1911م ، ص687

[2]: المرجع نفسه ، ص687

[3]: بشير يموت ، شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام، المكتبة الأهلية، بيروت،ط1، 1934م،ص03

الأدب وتواصل الشعر إلى أن وصل إلينا والأمر الغريب:" أن الذين ألفوا في طبقات الشعراء ، لم يذكروا الشاعرات ...إلا في الحجاز،ولا في الشام ولا في العراق ولا في مصر ولا في المغرب ولا في الأندلس وضربوا الحجاب عليهن ، إذا كان شعر النساء تطرفا وإذا يكاد يعرف في التاريخ كله من تستحق اسم الشاعرة ،غير بعض النساء المعدودات ...وإذ عرفت امرأة واحدة في العصر ، غطى عليها مائة رجل في الحجاب من لحي الرجال فلا تكاد تظهر .."[1] وبعد هذا النوع من التهميش والاستحقار لإبداعات المرأة والإهمال الذي تعرضت له على غرار سلطة الفكر الذكوري التي انتشرت ، واضطهاد المرأة فكريا واجتماعيا وغياب صوتها وانعدامه ،وإعلاء الصوت الرجالي في معظم الأغراض الشعرية ، حيث أوضحت مها بيك ناصر هذا قائلة :"منذ قرأنا الشعر الجاهلي ، ونحن لانسمع إلا أصوات ذكورية غنت جمال المرأة، وأفاضت في وصفها المادي ، وقلما تهادى إلى سمع مناهجنا أصوات شاعرات بُحن بشوقهن، إذ استثنينا حضوراً خجولا جسد شوق كلمات الأنثى العربية إلى غائبا اختطفته المنية ، فاختزل نتاج الشاعرة العربية في الرثاء ، مع التهميش شبه التام للشاعرات ، فكان لهن حضور فاعل على مستوى الإبداع الشعري والنقدي ، وذلك في مجالات الفخر والغزل والحماسة والسياسة والحنين إلى الوطن والحكمة ."[2]

فقد انصرف الدارسون للتنقيب عن شعر الرجال متناسين الشعر الأنثوي :" وأقبلوا على شعر الرجال دون العناية بشعر النساء ، وهذا تحت تأثير النظرة الفوقية التي تعتبر المرأة كائنا ضعيفا، دون مستوى الرجل قوةً ، وفكرا وفنا ، فانصرفوا إلى الشعراء ، يجمعون شعرهم ، دون الالتفات إلى إبداع النساء الشواعر"[3].

يكمن الهدف من المرأة في نظر الدارسين أنها مصدر إلهام للشاعر من خلال وصفها والتغزل بها ، وإلغاء الجانب الآخر منها ، كونها أيضا شاعرة وذات لسان فصيح ، رغم كل هذا التهميش فظلت النسوة :" يقبعن في الهامش الشعري أو الأدبي المنسي، وحتى أولئك اللواتي حصلن على الاهتمام من قبل الباحثين والدارسين كثيرا ما لم يتم الالتفاف إلى سيرتهن الحياتية وعطائهن الاجتماعي مما يدل على صحة هذا الأمر وعدم وجود

1: مصطفى صادق الرافعي ، تاريخ آداب العرب ، ص688

[2]:مها بيك ناصر، حركية الإبداع الشعري وإشكالية التصنيف الشعري، اتحاد الكتاب العرب،سوريا ،2012م،ص6

[3]: فاطمة صغير ،أساليب البيان في الشعر النسوي القديم من الجاهلية إلى العصر القديم، أطروحة الدكتوراه ، كلية الآداب واللغات قسم اللغة العربية وآدابها ،جامعة أبي بكر بلقايد ، تلمسان،2013l2012

تراجم حقيقية لمعظمهن ، حيث لا يجد الباحث في معاجم الشعراء والكتب التي اهتمت بكتب الشعر ، على أكثر من سطر أو سطرين عن شاعرة في أغلب الأحيان ."[1]

إلا أن المرأة قد ارتجلت الشعر بكل أغراضه متخذة من الشعر بابا دخلت عبره الساحة الأدبية ونافست به فحول شعراء زمانها ،وبينت نفسها رغم ما عانته من تهميش وغياب في أمهات الكتب بسبب النقاد والرواة الذين عمدوا على تجاهل هذا الإبداع الأدبي ودفنه .

[1]: شهيرة أحمد ، الشاعرات العربيات حظهن النقدي قليل، مجلة الاتحاد ،ع 12،أغسطس ،2012م،ص2

الفصل الأول: الخطاب الأنثوي و الأنساق المضمرة

أولا : مفهوم الخطاب لغة واصطلاحا

ثانيا: مفهوم الأنثوي لغة واصطلاحا

ثالثا : مفهوم النسق لغة واصطلاحا

رابعا : مفهوم المضمر لغة واصطلاحا

أولا : مفهوم الخطاب لغة واصطلاحا

أ) لغة:

تنوعت مفاهيم الخطاب بين اللغوي والاصطلاحي: حيث وردت مادة (خ– ط - ب) في المعاجم بمختلف مشتقاتها من فعل ومصدر واسم فاعل، وهو من الفعل :–خطب –يخطب-أخطب- خطبة-خطابة ومنه جاءت كلمة الخطاب، والخطاب والمخاطبة مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطابا، وهما يتخاطبان، والخطبة عند العرب كلام منثور مسجع ونحوي ([1])

قال الراغب: الخطب والمخاطبة والتخاطب= المراجعة في الكلام ومنه الخطبة والخِطبة لكن الخُطبة تختص بالموعظة والخِطبة بطلب المرأة ويقال من الخطبة الخاطب والخطيب ومن الخِطبة خاطب لا غير- والفعل منها .

وجاء في المصباح المنير-خاطبهُ-مخاطبة وخطابا وهو الكلام بين المتكلم والسامع ومنه اشتقاق(الخطبة) بضم الخاء وكسرها باختلاف المعنيين= فيقال في الموعظة(خَطَبَ) القوم وعليهم من باب قتل (خُطبة) بالضم وهي فُعلةُ بمعنى مفعولة نحو نسخة بمعنى منسوخة وغرفة من الماء بمعنى مغروفة وجمعها (خُطَبٌ)مثل غُرفةٌ وغرفٌ فهو خطيب والجمع خطباء وهو خطيب القوم إذا كان هو المتكلم عنهم[2]

ويقول ابن فارس: "الخطاب كلام متبادل بين اثنين, يقال خاطبه مخاطبة خطابا والخطبة من ذلك′ وفي النكاح أن يزوج .....والخُطبة الكلام المخطوبه...."[3]

وقال الزمخشري: "خاطبها حسن الخطاب، وهو المواجهة بالكلام، واختطب القوم فلانا دعوه إلى أن يخطب إليهم بخطاب ،وتقول له أنت الأخطب البين الخطبة.[4]

وقد أشار الجابري إلى أن الخطاب نوع من القول تجتمع فيه الصنعة اللفظية والحجة المقنعة وعدم الإثقال على السامع.[5]

وهذا ما ذكره الجاحظ في مفهوم فصل الخطاب من أنه قدرة المتكلم على إيصال رسالته من أيسر الطرق دون كلفة بقصد التأثير في المتلقي قال الجاحظ :"إنك إن أتيت تقرير حجة الله في عقول المكلفين،

---

[1]:ينظر،أبو الفضل ابن منظور،لسان العرب، دار الصادر ،بيروت،ط1،ج2، 1997م ،ص275

[2]:ينظر،احمد بن محمد بن علي المقري الفيومي ،المصباح المنير،المكتبة العلمية-بيروت-(د-ت) مادة (الخاء-الطاء وما يثلثها) ج1ص173

[3]: أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة،تحقيق عبد السلام محمد هارون ،دار الجيل ،بيروت ،ط138هـ،ج2 ،ص198

[4]: محمود بن عمر الزمخشري: الكشاف،تحقيق مصطفى حسين احمد ،دار الكتاب العربي، بيروت،2005م،ص80

[5]:ينظر:محمد عابر الجابري :بنية العقل العربي ،المركز الثقافي العربي ،المغرب،1986م،ص02

وتخفيف المعونة على المستمعين وتزيين تلك المعاني في قلوب المريدين بالألفاظ المستحبة في الأذان المقبولة على الأذهان رغبة في سرعة استجابتهم ونفي الشواغل عن قلوبهم بالموعظة الحسنة على الكتاب والسنة، كنت قد أتين فصل الخطاب ."[1]

وجاء في صحاح الجوهري: "الخَطْبُ: سبب الأمر...تقول ما خطبك .وخطبت على المنبر خُطبةٌ بالضم، وخاطبه بالكلام مخاطبةً وخطاباً، خطبتُ المرأة خِطبةً بالكسر ، واختطب : أيضا فيهما والخطيب :الخاطبُ: والخطيب : الخطبة ، قال عدي بن زيد يذكر قصد جذيمة الأبرش لخطبة الرجاء :

لخطيبتي التي غدرت وخانت وهن ذوات غائلة لحينا

والخطْبُ هو الرجل الذي يخطُبَ المرأة ويقال أيضا هي خِطْبُهُ وخُطْبَتُهُ للتي يخطبها والخَطبُ بالضم ، الخطابةَ بالفتح : صار خطيبا...واختطب القوم فلانا ، إذا دعوه إلى تزويج صاحبتهم "[2]

وكذلك ذكر الزمخشري :"فمعنى فصل الخطاب: البينُ من الكلام الملخص الذي يتبينه من يخاطب به لا يلتبس عليه، ومن فصل الخطاب وملخصه أن لا يخطئ صاحبه مظان الفصل والوصل ، فلا يقف في كلمة الشهادة على المستثنى منه، ولا يتلو قوله:{فويل للمصلين} إلا موصولا بما بعده ، ولا {الله يعلم وأنتم } حتى يصله بقوله { لا تعلمون } ونحو ذلك ، وكذلك مظان العطف وتركه والإضمار والإظهار والحذف والتكرير.... ويجوز أن يراد : الخطاب القصد الذي ليس فيه اختصار مخل ولا إشباع ممل "[3]

ويأتي في المعاجم الحديثة معنى الخطاب بمعنى القول والحديث : إيصال المعنى إلى السامع عن طريق الكلام ويضيف آخرون بأن الخطاب قد يكون شفويا أو تحريريا ويعالج موضوعا بشيء من التفصيل ويحدده أخر بالكلام المنطوق عندما يتجاوز الجملة الواحدة طولا ".[4]

من خلال هاته التعريفات تبين أن جميع مشتقات كلمة (خ-ط-ب) تدور حول معنى محوري وهو الفعل الكلامي

---

[1]:أبو عثمان الجاحظ، البيان والتبيين ،تحقيق عبد السلام محمد هارون،دار الجيل ،بيروت ،ج1، ص114

[2]: أبي نصر الجوهري ،تاج اللغة وصحاح العربية ،المسمى الصحاح ،تحقيق شهاب الدين أبو عمرو، دار الفكر العربي ،بيروت ،1418ه،1998م ،ص147

[3]: محمود بن عمر الزمخشري،الكشاف ، تحقيق مصطفى حسين أحمد ، دار الكتاب العربي، بيروت ، ط3،ج4،1987م ص80

[4]: ينظر: خلود العموش،الخطاب القرآني دراسة في العلاقة بين النص والسياق، عالم الكنب الحديثة ، جدارا للكتاب العالمي ، الأردن،ط1429ه، 2008م، ص22

ب)اصطلاحا:

يعد مصطلح الخطاب من أكثر المصطلحات تداولاً عند النقاد لما أثاره من تساؤلات حول مفهومه خاصة مع ظهور مجموعة من التعاريف المتباينة، وهذه التعاريف وإن كانت مجملة إلا أنها تشير إلى المعنى العام للخطاب، وهو تعبير المتكلم أو المخاطب عن معنى بطرق معينة قصد إيصاله وإفهامه إلى المخاطب وقد عرفه الجرجاني بأنه :" توجيه الكلام نحو الغير للإفهام ."[1]

وقد عرفه الكفوي بقوله : الخطاب هو اللفظ المتواضع عليه، المقصود به إفهام من هو المتهيئ لفهمه. احترز "باللفظ" عن الحركات والإشارات المفهمة بالمواضعة، وبالتواضع عليه" عن الألفاظ المهملة، ورُب" المقصود به الإفهام " عن كلام لم يقصد به إفهام المستمع فإنه لا يسمى خطابا ، وبقوله لمن هو متهيئ لفهمه " عن الكلام لمن لايفهم كالنائم ،والكلام يطلق على العبارة الدالة بالوضع وعلى مدلولها القائم بالنفس...."[2]

إذ يُعرف عبد الهادي بن ظافر الشهري " الخطاب قائلا:" حد الخطاب أنه كل منطوق به، موجه إلى الغير بغرض إفهامه مقصودا مخصوصا " [3]

يرى الزمخشري : " أن الكلام تركيب من كلمتين استندت إحداهما إلى الأخرى ."[4]

وأما عن مفهوم الخطاب عند المحدثين يرى هاريس :" بأنه ملفوظ طويل أو متتالية من الجمل، تكون الجملة منغلقة ، يمكن من خلالها معاينة سلسلة من العناصر. "[5]

من قول هاريس نستنتج أن الخطاب سلسلة من الجمل المتتالية تحمل معنى واحد ، وأما عن تعريف عبد الله إبراهيم :" مظهر نحوي مركب من وحدات لغوية ملفوظة ،ومكتوبة تخضع في تشكيله وفي تكوينه الداخلي، لقواعد قابلة للتنميط والتعيين مما يجعله خاضعا لشروط الجنس الأدبي الذي ينتمي إليه سردي كان أم شعريا."[6]

وهذه التعريفات وإن كانت مجملة فهي تشير إلى معنى واحد مفهوم واحد وهو تعبير المتكلم والمخاطب عن معنى بطرق معينة قصد إيصاله وإفهامه للمخاطب وهذا يستلزم توفر مجموعة من العناصر التي تتضافر جميعا في الخطاب كالمخاطب والرسالة والمعنى.

---

[1]: الشريف الجرجاني، التعريفات، تحقيق عبد الرحمن المرعشلي ، دار النفائس ، بيروت،ط2 ،2002،ص163

[2]: الكفوي ، أبو البقاء أيوب بن موسى ،الكليات، مؤسسة الرسالة، لبنان، 1998،ص419

[3]: عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، دار الكتاب الجديد المتحدة ،بيروت ، لبنان، ط1993م، ص12

[4]: ابن يعيش، شرح المفصل للزمخشري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ج1، ط2001 ، ص20

[5]: سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي وأبعاده النصية ، مجلة الفكر العربي المعاصر ، بيروت، العددان 48-49،شباط،،د ط 1989م ،ص19

[6]: عبد الله إبراهيم : إشكالية المصطلح النقدي الخطاب والنص ، مجلة الأفاق العربية ، بغداد، العدد،أذار 1993ص56

ثانيا: مفهوم الأنثوي لغة واصطلاحا

أ) لغة :

خلاف الذكر من كل شيء والتأنيث خلاف التذكير، والمؤنث خلاف المذكر، وحسب المعاجم اللغوية فإن كلمة الأنثوي ترجع نسبة إلى الأنثى والمشتقة من أنث ، أنوثة و أناثة، لانَ فهو أنيث أَنثَ تأنيثا الكلمة حق لها علامة التأنيث في الأمر، لاَنَ ولم يتشدد الشيء جعله مؤنث أنثوي نسوي إلى الأنثى وأنثاه فلانا عابه وذكره بما يكره من العيوب، والأنثى خلاف الذكر وجمع إناث و أناثي ،امرأة متحلية بالأنوثة : كامل الأنوثة .[1]

يعني مصدر اللين والرقة هي الأنثى ويعني في معناها اللغوي : أنث- الأنثى : خلاف الذكر من كل شيء والجمع إناث و أُنثْ جمع إناث كحمار وحُمر.[2]

أنثوي خاص بالمرأة (الطاقة الأنثوية) الأنوثة : الصفات التي تتميز بها المرأة (هذه المرأة تنقصها الأنوثة) اَنُث : (عمل على ظهور صفات الأنثوية) .[3]

يعني أن الأنوثة لا ترتبط إلا بالأنثى أو المرأة .

ويقول عبد الله الغدامي في تعريفه للأنثى: فلو أخذنا كلمة امرأة وقلنا أن معناه هو (بشر + بالغ+ أنثى)[4].

وهذه الصفات الحسية تمثل المعنى الصريح، ولكن الكلمة تحمل صفات أخرى كالصفات النفسية والاجتماعية مثل: معاني الرقة، والحنان، والعطف، والحب .

ب) اصطلاحا:

تعني كلمة الأنثوي مختلف الصفات والمميزات التي يجب أن تتصف بها المرأة ظاهريا وباطنيا والمتمثلة في نفسيتها وسلوكها وهذا ما يتفق عليه في مجمل التعريفات التي تجول حول الأنثى .

إذا ترى سارة جامبل أن : "الأنوثة مجموعة من القواعد التي تحكم سلوك المرأة ومظهرها".[5]

فإن المعنى تتحكم فيها مجموعة من القواعد، والسلوكيات التي يجب أن تتحلى بها ولا تخالفها.

---

[1]: يوسف محمد رضا ، معجم العربية الكلاسيكية والمعاصرة ، مكتبة لبنان ، لبنان ،ط1،2006م ،ص208

[2]: ابن منظور ، لسان العرب ،ص145

[3]: لويس معلوف، المجند في اللغة العربية ،المطبعة الكاثوليكية ،بيروت 1931م،ص39

[4]: عبد الله الغدامي ،الخطيئة والتفكير من البنيوية إلى التشريحية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط4، 1998م،ص 132

[5]: سارة جامبل، النسوية ما بعد النسوية، تر أحمد الشامي ، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ،م1،2002م ،ص337

ج) الخطاب الأنثوي:

من خلال التعريفين السابقين اللغوي واصطلاحي لكلمتي الخطاب الأنثوي نستنتج : كل كلام أو قول شفهي أو الكتابي نابع من كينونة المرأة للتعبير عن حالتها وعالمها الخاص الذي يخفي وراءه أسرار ،وخصوصية وصفات تميزها عن الرجل تجلت من نفس محطمة ،إذا يقول عبد المجيد زراقط :"تجربة المرأة الخاصة ويمثلها نص أدبي ، فما يميزه ليس اختلاف كاتبه الجنسي بل خصائصها البنيوية... ذو هوية أنثوية خاصة .. تمثل واقع حياتها بشكل تفصيلي".[1] أي أن خطاب المرأة يتميز بنوع من الأنوثة ممزوج بالواقعية لأنها تروي واقعها المعيشي وحياتها بالتفصيل ، أي أن مصطلح الخطاب الأنثوي يعكس صورة المرأة شفهيا أو كتابيا من خلال : "إدراك الجسد والتجربة واللغة العفوية المباشرة والاستعمال العادي للكلمة التي تعكس الطبيعة الداخلية".[2]

فهذا يعني أن الإنتاج الفكري للمرأة واستعمالها العفوي للغة السهلة المباشرة ذات المعنى الواضح يعود على نفسيتها وحالتها الباطنية التي تعيشها كونها تمثل ذلك الكائن الضعيف ذو الحس المرهف والرقيق فتميزت المرأة عن الرجل بصدق العاطفة الذي يتجلى بوضوح في نصوصها الشعرية كانت أم النثرية حيث نجد بوضوح قوة شخصية المرأة وصلابتها على الرغم من تمتعها بعاطفة قوية معبرة عن انعكاس طبيعة عيشها .

ثالثا : مفهوم النسق لغة واصطلاحا

أ) النسق لغة:

مصطلح النسق من بين أهم المصطلحات الرائجة في حقل الدراسات الأدبية والنقدية ،وجاء تعريفه في معجم لسان العرب كالآتي : "النسق من كل شيء، ماكان طريقة نظام واحد، وقد نسقه تنسيقا، ويخفف ابن سيده : نسق الشيء ينسقه نسقا ونسقه نظمه على السواء، وانتسق هو تناسق ، والاسم النسقُ وقد اتسقت الأشياء بعضها ببعض أي تناسقت والنحويون يسمون حروف العطف حروف النسق لأن الشيء إذا عطفت عليه شيئا بعده جرى مجرى واحد، وروي عن عمر ﷺ ، أنه قال ناسقوا بين الحج والعمرة.

قال سمر : ناسقوا و تابعوا وواتروا، يقال: "ناسق بين الأمرين أي تابع بينهما".[3]

وردت كلمة نسق في المعجم الوسيط: انسق فلانا أي تكلم سجعا ،(ناسق) تابع بينهما ولاءم (نسقه) نظمه ،(انتسقت الأشياء) انتظم بعضها إلى بعض يقال : نسقها فاتسقت ."[4]

---

[1]: عبد المجيد زراقط، النسوية الأدبية رؤية نقدية للمعطى والمنهج ، مجلة الاستغراب،ع16، صيف 30-07-2019م، ص144

[2]: حسين احمد ابراهيم الجبوري، الحضور والغياب في الخطاب الأنثوي رواية نبوءة فرعون، ميسلون هادي، الموقع الإلكتروني النقد العراقي

[3]:ابن منظور الإفريقي المصري، لسان العرب ،ص352

[4]:ابراهيم مصطفى وآخرون ،المعجم الوسيط ، دار الدعوة ، مصر ،م3، 1989م، ص819

وجاء في معجم مقاييس اللغة بأن:" نسق النون والسين والقاف أصل صحيح يدل على التتبع في الشيء."[1]

ب)النسق اصطلاحا :

مما ذكرنا سابقا عن النسق لغة وكيف استخدمه النقاد، إذن تقول يمنى العيد :"يتحدد هذا المفهوم في نظرتنا إلى البيئة ككل : ليس في نظرتنا إلى العناصر بل التي تتكون منها وبها البنية.

ذلك أنّ البنية ليست مجموع هذه العناصر، بل هذه العناصر بما ينهض بينها من العلاقات ببقية العناصر أو بموقعه في شبكة العلاقات التي تنظم العناصر والتي بها تنهض البنية فتنتج نسقها "[2]

"وهو النظام التقني الذي يميز البنيات المتشابكة في النص، وهو متعدد ومتنوع وقد يكرر، وهو عالمي ودال على مستويات البنية، وهو تقليدي ونمطي وشكلي مبتكر في الوقت نفسه بينما ترتكز البنية على الدلالة رغم تقنيتها الشكلية وهناك بين النسق والبنية علاقة الجدلية لا فكاك منها ،فالبنية هي التي تكشف النسق والنسق هو الذي يكون البنية ."[3]يتضح من خلال القول أن النسق متكرر ونمطي ومتعدد وعبارة عن نظام تقني وعلاقة جدلية مع البنية ،أما على صعيد استخدام مفهوم النسق في مجال النقد الحديث، فقد حظي هذا المفهوم باهتمام بالغ إذ :ناقشت المناهج النقدية الجديدة منذ الشكلانيين الروس إلى البنيويين أمر النسق المنغلق والنسق المفتوح ، أي هل تتم دراسة الخطاب في ضوء مرجعياته التاريخية ،والاجتماعية ،أو الأخلاقية أم تدرس أدبيته الأسلوبية والتركيبة والدلالية بمنعزل عن تلك المرجعيات؟ وقد رجحت الاختيار الثاني كما هو معروف."[4]

أشار كذلك عبد الله الغدامي :" يتحدد النسق عبر وظيفته، وليس عبر وجوده المجرد." أي أن وظيفة النسق الأساسية هي الإخفاء كما يقول : الوظيفة النسقية لا تحدث إلا في وضع محدد ومقيد ، وهذا ما يكون حينما يتعارض النسقان أو نظامان من أنظمة الخطاب، احدهما ظاهر والأخر مضمر ويكون المضمر ناقضا وناسخا للظاهر ...ذلك في نص واحد...ويشترط في النص أن يكون جماليا."[5] يعمل المضمر على الكشف ما وراء السطور وخفاياها.

---

[1] :ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة ،ص 26

[2]: يمنى العيد، في معرفة النص ، دار الأفاق الجديدة ، لبنان ، ط1، 1983،ص32

[3]: عزالدين مناصرة، علم التناصوالتلاص،دار مجدلاوي ، عمان ،م3،2003،ص3

[4]: عبد الله الغدامي ،النقد الثقافي في قراءة الأنساق الثقافية ،المركز الثقافي العربي ،دار البيضاء ، المغرب،م3 ،2005م،ص77

[5]: المرجع نفسه،ص77

يعرف نعمان بوقرة: النسق يتولد عن تدرج الجزيئات في سياق ما، أو ما يتولد عن حركة العلاقة بين العناصر المكونة للبنية (...) أنّ العناصر المكونة لهذه اللوحة من خيوط وألوان تتألف وفق نسق خاص بها."[1]

رابعا : مفهوم المضمر لغة واصطلاحا

أ) لغة:

من الجذر اللغوي ضَمر والمؤنث مضمر، وجاء في معجم مقاييس اللغة: بأن إحداهما يدل على : ضمر الضاد والميم والراء أصلان صحيحان على الدقة في الشيء الأخر يدل على غيبة وتستر." [2]

كما جاء في المعجم لسان العرب :" تضمر وجهه: أضمرت جلدته من الهزال، والضمير السر وداخل الخاطر، والجمع الضمائر(...)الضمير الشيء الذي تضمره في قلبك ، تقول : أضمرت صرف الحرف إذا كان متحركا فأسكنته ، وأضمرت في نفسي شيئا ، والاسم الضمير ، والجمع ضمائر والمضمر الموضع والمفعول(...)قال الأعشى"(...) أرانا إذا أضمرتك البلاد نجفي وتقطع منا الرحم" في ظل هذه المفاهيم ينطوي تعريف المضمر تحت معنى الدقة والسر والخفاء والغياب والموت أو السفر.

ب)النسق المضمر :

كل دلالة نسقية مختبئة تحت غطاء الجمالي ومتوسلة بهذا الغطاء لتغرس ما هو غير جمالي في الثقافة."[3]

كما يعرفه كذلك : ذو طبيعة سردية ، يتحرك في حبكة متقنة، لذلك فهو خفي ومضمر وقادر على الاختفاء دائما، ويستخدم أقنعة كثيرة وأهمها (...) قناع الجمالية اللغوية، وعبر البلاغة وجمالياتها تمر الأنساق آمنة مطمئنة من تحت هذه الوارفة."[4]

يرى صاحب القول أن النسق المضمر له جانب سردي، تحت غطاء الحبكة المتقنة لذلك يأتي خفي ويستخدم الأقنعة لإضمار نفسه، إذن فالنسق المضمر هو طريق يعبر بها الكاتب أو الأديب عما يريد دون الإفصاح بذلك، أي أنه يستطيع الدخول بالنسق دون أن ينتبه له الملاحظ ويتخذ من النسق المضمر وسيلة للتعبير دون الإفصاح المباشر عن ذلك.

---

[1]: نعمان بوقرة، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب (دراسة معجمية)، جدارا للكتاب العالمي ،عمان ، الأردن 2009م، ص 140وص141

[2]: أبي الحسين أحمد بن فارس ،معجم مقاييس اللغة ،ص371

[3]: عبد الله الغدامي، عبد النبي اصطيف،النقد الثقافي نقد أدبي؟، دار الفكر ، دمشق، سوريا ، ط1، 2004، ص33

[4]: عبد الله الغدامي، النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية ، ص79

والنسق المضمر يختفي تحت غطاء وترسبات يقول :" هو مجموعة من الترسبات تتكون عبر البيئة الثقافية والحضارية، تتقن الاختفاء تحت عباءة النصوص المختلفة ، تمارس على الأفراد سلطة من نوع خاص، وهي حاضرة في فلتات الألسن والأقلام بصورة آلية وينجذب نحوها المتلقون دونما شعور منهم ، لأنها جزءا هاما من بنيتهم الذهنية والثقافية ." [1]رغم الاختلاف السائد في هذه التعاريف إلا أنها أجمعت كلها على أن النسق المضمر هو قناع أو غطاء أو حائل بين ما هو ظاهري وما هو باطني في المعنى المقصود .

الذي يستلزم بعض الدقة والتنقيب لكشف هذه الترسبات المضمرة حيث تطلق عليها أيضا :الأنساق الثقافية التاريخية الأزلية وراسخة ولها الغلبة دائما، وعلاماتها هي اندفاع الجمهور إلى استهلاك المنتوج الثقافي المنطوي على هذا النوع من الأنساق وكلما رأينا منتوجا ثقافيا أو نصا يحظى بقبول جماهيري عريض وسريع فنحن في لحظة من لحظات الفعل النسقي المضمر ."[2]فيتوجب البحث السريع عن النسق المضمر كي لا يزداد حبكة وتعقيدا استجابة لاستهلاكه يستدعى الأخذ : بكشفه والتحرك نحو البحث عنه، فالاستجابة السريعة والواسعة تنبئ عن محرك مضمر يشبك الأطراف ويؤسس للحبكة النسقية."[3]

فالنسق المضمر يؤسس لعبرة قيمة ذات معنى دلالي غير واضح تعطي للنص نظرة جمالية يحتاج للحفر في أعماق اللغة، وهذا يدل على أن النسق يتستر بها دون الإفصاح المباشر .

كما نجد الأنساق أيضا : "في الأغاني أو في الأزياء أو الحكايات أو الأمثال مثلما هو في الأشعار والإشاعات والنكت، كل هذه وسائل وحيل البلاغة الجمالية تعتمد على المجاز والتورية وينطوي تحتها نسق ثقافي ثاو في المضمر ،ونحن نستقبله لتوافقه السردي وتواطئه مع نسق قديم منغرس فينا(...) وهو جرثومة قديمة تنشط إذا ما وجدت الطقس المناسب."[4]

من خلال المفاهيم نستخلص أن النسق المضمر هو الركيزة الأساسية في النقد الثقافي يقوم على الية تحليل واستخراج ما وراء السطور والعيوب المتخفية في النصوص الأدبية .

---

[1]: إسماعيل خلياص حمادي، إحسان ناصر ، النقد الثقافي ومفهومه منهجه وإجراءاته " مجلة كلية التربية ، جامعة العراق ،ع13، 2013، ص17

[2]: عبد الله الغدامي،النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية ، ص80،79

[3]: المرجع نفسه، ص80

[4]:عبد الله الغدامي ، النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية ،ص 81

الفصل الثاني: الخطاب الأنثوي بين إثبات الذات و دلالات الشجاعة والآنا الذكورية

أولا : الرثاء وتوكيد الذات

ثانيا : دلالات الشجاعة وخطاب الذكورة

ثالثا : الخطاب الأنثوي من منظورالأنا الذكوري

تمهيد:

لطالما شكل الشعر الجاهلي مادة ثرة من جميع الجوانب سواء كانت فنية أو أدبية،أو اجتماعية وعلى هذا الأساس فإن هذا النتاج الأدبي بما يمثله من ثروة أدبية استقطب الدارسين والنقاد من أجل تحليله وتفسيره.

وإذا كان هذا الأدب استرعى اهتمام هؤلاء النقاد من أجل دراسته فإننا نحاول في هذه الدراسة أن نبين هذا النتاج من منظور الآخر ألا وهو المنظور النفسي والبعد الثقافي بما يمثله هذا الجانب من أهمية ، والذي يستعين إليه من خلال دراسته من ناحية المرأة والطلل، والقيم الاجتماعية والثقافية .

أولا : الرثاء وتوكيد الذات

لطالما شكل الرثاء متنفسا يبغي من خلاله الشاعر البوح عن مكنوناته الدفينة والكشف عن دواخله العميقة الملأ بالأحزان والآلام، وهو يستعين في ذلك بقول الشعر والاسترسال في قول الشعر، ولذلك كان الرثاء غرضا مهما استغله الشعراء لتوثيق سير موتاهم وترسيخ مناقبهم في الذاكرة الجمعية ،وأمام تفشي ظاهرة الحروب في العصر الجاهلي، وما كان ينجم عنها من سبي وقتل وفقد .

انتشر غرض الرثاء في هذه الفترة الزمنية المهمة من تاريخ الأدب العربي بجدارة حيث ساهم في كتابة التاريخ وتاريخ الإنسان بكل ما تحمله هذه الكلمة من معاني إنسانية ونفسية واجتماعية...فموضوع الرثاء من موضوعات التي اشترك فيها الرجل والمرأة ،إلا أنه كان :"كان للنساء الحظ الأوفر منه لما طبعن عليه من رقة المشاعر وأساليب البكاء ، نحو حلقهن الشعر ، ولطم الخدود ، والقيام على القبور في المواسم ، وكان من الطبيعي أن يزدهر الرثاء في الجاهلية، فالحياة آنذاك قائمة على القتل والسفك والتفاخر والأخذ بالأثر ، فأيام العرب وحروبهم فوق أن تحصى، ولا شك أن الندب والنوح يؤلفان الصورة الأولى في الرثاء الجاهلي إلى جانب تعداد فضائل الميت والإشادة بصفاته ثم إظهار الصبر والعزاء ونوائب الدهر."[1] وفي هذا الخضم الأدبي تعد الخنساء نموذجا مميزا في غرض الرثاء لدى الشواعر حيث قالت:

يذّكرني طلوع الشمس صخرا وأذكره لكل غزوب شمس

ولــولا كثرة الباكين حــولي على إخوانهم لقتلت نفسي [2]

[1]: جورج غريب: شاعرات العرب في الجاهلية، دار الثقافة ، لبنان ،1984م،ص26

[2]:اسامة بن منقد ، كتاب البديع في نقد الشعر ، تح أحمد بدوي ، الجمهورية العربية المتحدة ،ص56

لم تكف الخنساء عن البكاء على أخيها وذكراه فقد كانت في مناحة مستمرة معبرة عن صولة الأسى وحرارة فقد فارسها المقدام صخرا .

وقد روي عنها في رواية أخرى قولها :

يــاعينُ مالـك لا تبكين تسكابــا؟ إذا راب جــهرا وكـانا لدهر ريّابا

فابّكـي أخــاك لأيتــام وأرملـــة وأبكي أخاك، إذا جاوزت أجنابا

وابّكي أخاك لخيل كالقطا عصبا فــقــدن لما ثــوى سيبــًا وأنهارا[1]

تفجر شعر الخنساء بعد مقتل أخيها صخر الذي كانت تحبه حبا لايوصف فهي تؤكد أن صخر سيدا وولي أمر القبيلة فنراها تبين شجاعته وبسالته ذاكرةً شيمه وكرمه وهذا الرثاء الملء بالأحزان يخفي وراءه الكثير من المعاني المخبوءة، والأنساق المضمرة التي لا تقتصر على البكاء والعويل، إنّما تجاوزت إلى أخلافها فهذا الرثاء يضمر في ثناياه جانبا مهما من القوة ورباطة الجأش ، والاستعداد لتحمل المسؤولية، وهي تظهر في شكل كلمات شارذة من اللاوعي في طيات المكتوب ولعل قولها لاتبكين في خضم الأحزان وتخوم الآهات دليل على جانب نفسي آخر كان يقاوم الكثير من الحسرة، ويستعد سيكولوجيا لمواجهة الحياة بعد الموت (موت أخيها صخر) والتهيؤلامتداد نفسي في حياة مازالت تحيى وقع ذكرى محبوب تأبى رحيله وترفض فراقه، وعلى هذا الأساس ومن منظور نفسي أخذ هذا الرفض يتحول إلى تمسك بالحياة ورغبة في مواصلة سير أخيها الذي انتهى سيره على أعتاب الموت.

وتقول الخنساء في مرثيتها :

يــا صــخرُ ، ورّاد ماء قد تنادره أهــل الموارد مافي ورده عارُ

مشى السبنتى إلى الهيجاء معضلة لــه سلاحان أنياب وأظفار

وإنّ صــخرا لمقــدام إذا ركـبــوا وإن صخرا إذا جاعوا لعقّار [2]

وتنطلق الشاعرة في بكائها بذكر شجاعة صخر وبطولتهبين أفراد قبيلته، فيقول أحد الشراح لديوان الخنساء :" وحين نطالع أشعار الخنساء من الرثاء ننسى أننا أمام امرأة شاعرة، حيث تتحول الأنوثة عندها إلى رجولة وبطولة فإذا نحن في وسط القتال والمعارك، إذا الأبيات تتابع قوية وصاخبة منطلقة بوقع ملحمي

[1]: المرجع نفسه، ص226

[2]: رئيف خوري، التعريف في الأدب العربي ، لجنة التأليف المدرسي،بيروت، 1951م ،ص142

شديد حتى نكاد نسمع قرع السيوف وصهيل الخيول."[1] من خلال القول يتضح جليا صلابة صخر الذي كان يدق الأعناق ويعصرها في ساحات الحرب ، وتقول أيضا :

ألا يـاعينُ فانهـمري بـغـدرٍ وفيضي فيضـةً من غير تزرٍ
ولا تعـدي عزاءً بعـد صخـر فقد غُلب العزاء وعيل صبري
لمرزئة كـأنّ الجـوف منهـا بعيـد النوم يشعر حرَّ جمـر
على صـخر وأيُّ فتى كصخـر لعـّان عـائلٍ غلـق بوتـر [2]

تعود الخنساء في هذه الأبيات إلى البكاء على أخيها و تذكر مناقبه وخصاله الحميدة بالمفاخرة به ومدحه زد إلى ذلك من قوة المعنى،إن العاطفة هي قوام شاعرية الخنساء وقد امتزج بعاطفة الخنساء لين الأنوثة مع شدة الرجولة، ومن هنا كانت اللغة رافدا من روافد الأفكار والعواطف والأنساق المخبوءة في ثنايا الخطاب، وفق هذا التحديد نلفي أن الخطاب في شعر الخنساء جامعا بين الوصف والتصوير والاستطراد يقول رئيف خوري: "إن شعر الخنساء في الرثاء لا يقتصر كله على غرض التفجع والنحيب بل كثيرا ما تستطرد فيه إلى الوصف شقيقها المرثي فتصور امرأة بكل المروءة في الجاهلية."[3]

وتقول عن نفسها تصفحالة البكاء والأنين الذي وصلت إليه الشاعرة فقالت:

تبكي لصخرٍ هي العبري وقد وهلت ودونه من جديد التراب أستـار
تبكي خناس فما تنفكُّ ما عمرت لـهـا عليـه رنين وهي مـفتار
تبكي الخناس على صخر وحقَّ لها إذا رابـها إنَّ الـدهـر ضـرار [4]

و عطفا على الأبيات توضح الخنساء مرارة العيش بعد فراق صخر فقد ارتكنت الشاعرة إلى البكاء والعويل وبقيت على هذه الحالة التي تعبر عن حزن ومرارة الفقدان دهرا من الزمن ولذلك ما فتئت تذكر صفة حسنة إلا وذكرتها وأعادت ذكرها. ذكر يخفي وراءها إصرار على التشبث بالحياة، بل إن ذكر مناقب المرثي صخر هي من باب ترسيخ هذه المناقب ليبقى صخرا حيا في الذاكرة الجمعية أو في التراث الأدبي العربي فلا يموت أبدا، وهكذا لا يقتصر هذا الخطاب الأنثوي المتشبع بصفات الذكورة المستمدة من أخيها صخر على الذكر من أجل الذكر بل يتعداها إَضفاء الحياة على الروح بعد الموت وتقول :

---

[1]: أبي العباس ثعلب، شرح ديوان الخنساء، تحقيق أنور أبو سويلم ، دار الصادر ،بيروت ،1951م، ص12
[2]: ابن عبد ربه ،العقد الفريد، مطبعة الشرف ، مصر، 1305هـ، ص106
[3]: رئيف خوري، التعريف في الأدب العربي ،ص142
[4]: بشير يموت ، شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام ،بيروت ،ط1، 1993، ص172

وأغـر أبـلج يأتـم الـهـداة بـه وكـأنَّـه عـلـم فـي رأسـه نـار [1]

عمدت الخنساء في مراثيها على تأكيد ذاتها من خلال تقديم صورة شاملة متكاملة عن أخيها صخر واصفة إياه بالجبل في مقامه ومكانته العالية الفريدة، وذكرت كذلك أنه كان مصدر اهتداء ومرجع يعود إليه جميع المختلفون والمتنازعون في الرأي ليحتكم بينهم.

بعد وفاة صخر توالت المصائب على الخنساء الفاجعة تلو الأخرى ،فقد فقدت أخيها معاوية وأبناءها الأربعة دفعة واحدة، فهذه الفواجع المجتمعة كلها كافية لتدمير نفسية وذات الشاعرة مهما كانت قوية وصارمة فالرجل ينتحب ويبكي فما بالك بالمرأة الضعيفة بالفطرة الغير قادرة بطبيعتها على تحمل الأسى وأثقال الدهر وأوزار المواجع، غير أنّ الخنساء كما يظهر شعرها فقد صبرت واصطبرت على ما حل بها من أزمات ونكبات

وإن كان الألم الذي تخبئه آلمها و أفطر قلبها حزنا وأسى فقد بكت المرثي دما بدل الدموع أكثر من غيره من أقربائه.

وهكذا درجت الخنساء في رثاء أبنائها ، وكأنما مازالت ترثي أخاها صخرا ،وتوضيحا لمناسبة القول أنجبت أبناءها حتى تسمر حياة صخر بعد وفاته في حياة أبنائها، ولم تستمر هذه الحياة إلا رثت أبناءها المتوفين وبناءا على هذه المشيرات نلفي نسقا مضمرا ومعنى مخبوء، قد لا يكون ظاهرا وهو أن ذكر مراثي أبنائها ومناقبهم هو في الحقيقة ذكر مناقب صخر وعليه فإذا كان إنجاب الأبناء من قبيل استمرار حياة صخر فإن قول الشعر في الأبناء ماهو امتداد لقول الشعر في صخر كما رثته تماما حينما مات على وقع أحزانها.

في نموذج أخر صورت الشاعرة فاطمة بنت الأحجم الخزاعية ترثى قومها الذين قتلوا في الحرب تخص في رثاءها أخاها و زوجها الجراح:

قد كنت لي جبلاً ألوذ به فتركتني أمشي بأجرد ضاحٍ [2]

تصور الشاعرة حاجتها إلى أخيها الذي كان سندا لها : "فحاجة المرأة للحماية جعلتها تتصور الرجل جبلا في المنعة والحفظ، تأوي إليه في الشدائد ، وتلوذ به في حسن دفاعه في النوائب ،وهذا الجبل قد زال وصارت المرأة بقاع أملس من الأرض بارز للشمس."[3]

---

[1]: رغداء مارديني، شواعر الجاهلية ، دار الفكر ، دمشق ،سوريا،ط1، 2002م ،ص15

[2]: بشير يموت ، شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام ،بيروت ،ط1،1993م، ص172

[3]: ابراهيم عبد الرحمن الغنيم ، شعر النساء ، دراسة في خيال الشاعرة العربية القديمة ، مؤسسة الرسالة،ط1، م1، 2001م ،ص47

في موضع أخر قالت :

ياعين جودي عند كل صباح جودي بأربعة على الجراح [1]

تحث الشاعرة عينها على البكاء والإكثار منه لتجعله مبدأ نهارها فالصباح دلالة وتذكير على وقت شنِ الغارات على الأعداء، فلم تكف الشاعرة الجاهلية عن التفاخر وذكر الخصال الحميدة للمرثي .

في حين رثت أم عمرو بنت مكرم عند فقدانها أخاها :

ما بالُ عينك منها الدمع مهراقِ سخًّـــا فلا عـــازبٌ عنها ولا راقِ

ابكـي على هالكٍ أودى فأورثني بعـــد التفـــرق حزنا حرَّه باقِ

لو كان يرجع ميتا وجد مشفقة وأبقى أخي سالما وجدي واشفاقِ [2]

تسأل أم عمرو عينها وتدعوها للبكاء على أخيها الأغلى في حياتها وتدفع الغالي والنفيس من أجل أن ترجع أخاها وتشكل تجربتها الرثائية من كم الدموع التي ذرفتها إزاء الحدث الجلل الذي داهمها. وإذا كانت الخنساء كما رأينا من باب الحزن والعويل فإن أم عمر تبكي أخاها تماما مثلما فعلت الخنساء وهي في هذا الصدد تريد هذه الشاعرة أن تستمر حياة الأخ من باب آخر، ولذلك تخاطب حاسة البصر من خلال العين التي بكت ومازالت تبكي والعين تنماز عن بقية الحواس بأهميتها القصوى ، إذن لم يكن ذكر العين ودعوتها إلى البكاء من باب الذكر العاجز إنّما كان مقصودا في ذاته وهي تشير براثين اللغة، إلا أن العين قد انطفأ نورها فهي غارقة فيبحر الدموع .

في نموذج آخر رثت صفية الباهلية التي عرفت في الجاهلية بفصاحتها وبترنمها بالشعر فقالت :

عشنا جميعا كغصني بانةٍ سمقا حيينا على خير ما تمنى له الشجر

حتى إذا قيل قد طالت فروعهما وطـــاب قنوانهما واسنضر الثمر

أخنى على واحد ريب الـزمان وما يبـقى الزمان على شيء ولا يـــذر [3]

هكذا عبرت الشاعرة صفية الباهلية عن شوقها وعلاقتها القوية بأخيها وكيف كان بالنسبة إليها نورا في حياتها لكنه انطفأ فجأة حين فقدته.

أما هند بنت حذيفة بن بدر الفزارية، إحدى شاعرات ذبيان في الجاهلية أخت حض بن حذيفة رثته في قصيدة تطاول ليلي الهموم :

---

[1]: أبو تمام ، ديوان الحماسة ، شرح المرزوقي ، تح :أحمد امين وعبد السلام هارون ، لجنة التأليف ، مصر، م1951 ، ص99

[2]: بشير يموت ، شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام ،ص49

[3]: زينب بنت فواز، الدر المنثور في طبقات ربات الجذور،تع محمد امين ضاوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،ط1، 1914م،ص17

تطاول ليلي للهموم الحواضر وشيَّب رأسي يوم وقعة حـــاجر
لعمري وما عمري عـــليَّ بهيِّن ولا حـــالف برُّكـآخـــــر فاجـــر
لقد نال كرز يوم حاجز وقعـة كفت قومه أخرى الليالي الغوابر[1]

فهند حينما فقدت أخاها طالتها الأحزان والهموم لتزيد من عمرها أعمار ودعت قومها للأخذ بثأر أخيها انفجرت قرائح الشواعر في رثاء أبائهن ذلك للعلاقة القوية التي تجمع المرأة بوالدها ،فأقسى ما تعانيه الشاعرة رحيل سندها وملجأها في الحياة فلا ريب من أنها ترثيه وتتحسر على فراقه فلنا نماذج لهذا الرثاء:

رثت هند بنت عتبة الشاعرة القرشية الكنانية ابنة عتبة بن ربيعة بن عبد الشمس بن مناف، قالت :

ابّكي عميد الأبـــطحين كلـــيهما وحاميهـــما من كـــل باغٍ يريدها
أبي عتبة الخيراتُ ويحك فاعـلمي وشيبةُ والحامي الذمار وليدهـــا
أولئكآلُ المجد من آلُ غـــــالب وفي العـزِ منها حين ينمي عزيزها[2]

مرت الشاعرة بأقسى أنواع الألم وهو فقد الأحبة فأطلقت صرخات عميقة ذات معاني مدفونة رغم قوتها وشدة بأسها، فهند سيدة قومها مصورة حسرتها على والدها معظمة من خصاله ذاكرة خصاله و مناقبه بنوع من الفخر والتفاخر حاملا وراءه العديد من الأنساق المضمرة .

وهكذا تغني الشاعرة هند بنت عتبة سرودها بخطاب أنثوي بعاطفة جياشة، وثرية بالأحاسيس جراء فقد الأحبة، فإذا غاب الأب المرثي عن الحياة المادية بوفاته فإنه يحضر في حياة الذاكرة والمكتوب ، فالتقت روح الأنثى بروح المرثي المقصود بالخطاب ، وهكذا استطاعت أن تجمع قصائد الشاعرة هند بنت عتبة بين لغة واصفة ثرة مفعمة بعواطف الأنثى وبين نفس أنثوية مفقودة بفجيعة الموت ، فوصفت الشاعرة الأنثى بلغة أنثوية وهكذا تضمنت هذه اللغة مدلولات ثرية اجتمعت في ثنايا الخطاب والحضور الأنثوي .

كذلك حال الشاعرة الخنساء بنت زهير بن أبي سلمى التي راحت تعبر عن فجعها بفراق والدها قائلة :

وما يُغّني توقي للمـــوت شيئا ولا عـــقد التـــميم ولا الغـــضار
إذا لاقـى مـــنيته فـــأمسى يســـــاق به وقـــد حـــقّ الحذار
ولا قـــــاه من الأيـــام يوم كمـــا من قبل لـــم يخلد قدار[3]

[1]: المزرباني، معجم الشعراء العرب، دار الكتب العلمية ، بيروت،ط1،م2 ، 1985م ،ص227
[2]: بشير يموت ، شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام، ص39
[3]: المرجع نفسه ،ص76

واجهت الشاعرة عدة صدمات لعل أهمها وأعظمها فقدان الأب الذي فجر لديها عاطفة الحزن في النفس الإنسانية، ويعود ذلك لارتباط الشاعرة بأبيها لذلك نحن أمام تجربة صادقة امتزج فيها الفكر بالوجدان ويتضح من خلال الأبيات أن الخنساء لازالت تحت الصدمة السيكولوجية التي تعرضت لها فهي توضح مدى قوتها وعدم مثولها أمام الحقيقة وحتمية الموت .

وتقول : خالدة بنت هاشم في بداية قصيدتها الرثائية وهي تعدد مناقب والدها :

بـكت عيني وحقَّ لها بكاهـا وعـــاودها إذا تمـــسى قذاهـا

أبـــكّي خير من ركب المطايا ومن لبس النعال ومن حـذاهـــا

أبـــكّي هاشما أذكرهم أراها شـديدا سقمها باد جـوادهـــا[1]

فلو كانت نفوس القوم تفدى فـــديتهم وحقَّ لهم فـــــداها

افتتحت الشاعرة قصيدتها بالحث على البكاء المتواصل لعل ألمها يزول دون نسيان جانب الفخر الذي يعد الركيزة الأساسية في الأدب العربي الجاهلي فلم تخل قصائد الشواعر من الفخر بأهلهن نظرا لجليل أوصافهم من شجاعة وبسالة، وفي هذا الخضم السيكولوجي استطاعت أن تجمع بين أغراض عدة في خطاب شابه روح أنثوية طاغية ، ما جعل الخطاب يتزين بصور أدبية قشيبة ولغة أنثوية مليحة.

وعلى هذا الأساس استهلت الشاعرة قصيدتها بالبكاء على أبيها ، ونحسب أن هذا البكاءهومن قبيل التنفيس، بمفهوم علم النفس الحديث خاصة أن الفعل بكى تكرر في الأبيات الثلاثة الأولى من القصيدة ومن ثم مارست حقها في البكاء كأي أنثى أخرى ، وإذا كان البكاء يعبر عن فعل بيولوجي نجده عند المرأة أكثر من الرجل فإن هذا البكاء المتكرر والمتواصل يعبر عن خطاب أنثوي مضاعف ، فهو من جهة يعبر عن ألم إنسان فقد عزيزا، ومن جهة أخرى يغبر عن امرأة رهيفة الإحساس تكرر معها فعل البكاء تعبيرا عن الحزن الشديد ولو لم يكن هذا البكاء بكاء شديدا لما تواصل ذكره في مدونتها الشعرية .

وأما سُليمة بنت المهلهل التغلبية قالت ترثي أباها:

أعينيَّ جودا بالدموع السوافح على فارس الفرسان في كل صافح

أعينيَّ إن تفنى الدموع فأوكفا دمـــا بارفضاض عند نوح النوائح [2]

[1]: بشير يموت ، شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام،ص113

[2]: نفسه،ص43

انتقل الرثاء لدى الشاعرات من الأب إلى الابن المأساة الأعظم والوقع الأكبر والأشد عند المرأة ففقدان فلذة كبدها يلحقه الحزن العظيم والكآبة دائمة ففي ذلك رثت ماوية ابنها في أبيات رائعة تحمل معاني الأسى والكسر قالت فيها :

هوت أمهّم ماذا بهم يوم صرعوا يجـــشيان من أوتـاد ملك تهدّ مـا
أبو أن يفروا والقنـا في نجوهم وأن يرتقوا من خشية الموت سلمـى
ولـو أنَّهم فرّوا لـكانـوا أعزَّة ولكن رأو صـــبرا على الموت أكرما [1]

رثت الشاعرة أبناءها بعدما لقوا حتفهم بشجاعة الرجال الشجعان ، دون تراجع ولا خوف ولا تردد ، وفي هذا الصدد نلفي خطابا أنثويا مضاعفا على غرار الشاعرة خالد بنت هاشم ، إلا أن تعاظم هذا الخطاب ومضاعفاته تكمن في أن هذا الخطاب جمع بين لغة الشعر ولغة الأم الثكلى بفقدان أبناءها ، وهي تتألم بنفسية حزينة ، ودواخل متألمة انعكس رحاها على نتاجها الأدبي.

وفي صورة أخرى تقول الشاعرة تماضر بنت الشريد السلمية في رثاء الضنا:

كـــأنَّ العين خالطها قذاها لحـزن واقـــع أفنى كـراها
عـــلى ولد وزين الناس طرًّا إذا ما النار لم تر من صلاها
فيتركها إذا اصطربت بطعن وينبئها إذا اشـــتجرت قناها [2]

توضح الشاعرة مدى فجعها وحزنها وحرقتها على فقد ابنها وتوضح كذلك أن هذا الحزن والقهر دائم وباقٍ الدهر كله لا يزول إلا بفنائها ، متحسرة على ريعان شبابه وجيشان نفسها التي تحترق بنار الحزن ، فلا تكاد تفارقها ذكرى ابنهادون نسيان التغني بخصاله وشيمه وحسن خلقه بين الناس .

وتعددت صلة المرثي وقرابته من الشاعرة فراحت بعضهن إلى رثاء أزوجاهن بعد فقدهم، فجيداء بنت الزاهر الزبيدية قالت :

ياقومي قد قرح الدمع خديَّ وجفاني الرقاد من عظم وجدي
كان لي فارس سقـــاه المنايا عبـد عبس بجـــوره والتعديَّ
ورماني من بعد أنصار جندي في هـموم أكابـد الوجد وحدي
بدرتـم الهوى من الأرض لمـا رشقته السهام من كـفِّعبد [3]

[1]: ينظر: مي يوسف خليف الشعر النسائي في أدبنا القديم، مكتبة الغريب، القاهرة،ج1،ط1، ص99
[2]: بشير يموت، شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام،ص48
[3]: المرجع نفسه ،ص549

يظهر في قول الشاعرة أنها بدأت قصيدتها بنداء قومها تصف حالتها بعد مقتل زوجها على يد العبد العبسي، والحزن الذي أنهكها وألم بها، فألم الفقد قد بلغ منها مبلغا جعلها تطالب بالقصاص إزاء من قتل زوجها، خاصة وأنه عبد مملوك تجرأ على قتل سيد من أسياد القبيلة، لذلك لم تتوانى من افتتاح قصيدتها بالنداء المجهور فقالت (ياقومي) الذي اتصف بالحزن والأسى، بعدما تردد قومها في أخذ القصاص والمبادرة إلى الثأر من القاتل.

إن الخطاب الأنثوي في هذا النتاج الشعري يشوبه الضعف والشعور بالضعف من حيث كونه يعبر عن نسق مضمر ويفضح نفسية شاعرة مكسورة ومهزومة وعليه فإن هذا القول لا يعبر عن حزن امرأة ترملت بفعل قتل زوجها ، إنما يعبر أيضا عن مكانة المرأة في العصر الجاهلي ، فإذا كانت المرأة تحتل مرتبة أدنى في معادلة (رجل – امرأة) فإنها تصبح في مرتبة أدنى من الأدنى ، إذا ما فقدت سندا ذكوريا تشعر برجولته وقوته وتشعر بالاطمئنان في ظله .

وبناءا على هذه المشيرات نحسب أن هذا الخطاب الأنثوي كان مكسورا ومن المفارقات الغريبة التي زادت من انكسار هذا الخطاب على المستوى الفني وهو القتل الزوج على يد عبد لا يرتقي إلى مصاف الأسياد وعلى هذا الأساس يصطدم خطاب الشاعرة الغني بالرثاء والفخر والمديح بخطاب الهجاء وهجاء الهجاء ، وهي تتوجه به إلى عبد غدار ومن ثم كان هذا الخطاب ثرا بالمعاني والدلالات التي استطاعت أن تجمع بين أغراض شتى في مساحة لغوية ضيقة جدا ، وهذا أقصى درجات البلاغة في قول الشعر ، ولا غضاضة أن تنحوا الشاعرة نحو سعي جديد في إنتاج الشعر وهي تحاول أن تضمر الغزل في شعرها ، ونحن نلفي أكثر الأنساق المضمرة في هذا النتاج ، ففي لا وعيها تريد أن تسترجع زوجها وتستحضره في خطابها حتى تشعر بروحه الحاضرة في قصيدتها، ولذلك يتخلل شعرها نوع من الغزل في ثنايا الخطاب .

وبعدها رثت فاطمة بنت الأحجم زوجها قائلة:

قد كنت جار حميتي ما عشت لي واليوم بعدك من يريش جنـــاحي

فاليوم أخـــضع للـــذليل وأتقي ذلـــي وأدفـــع ظالمي بالـــراح [1]

إن البيئة التي كانت تعيش فيها المرأة الجاهلية بيئة توحي إلى عدم الاطمئنان والشعور بالراحة نتيجة لطبيعتها الصحراوية القاسية، لذلك نجد الشواعر يبدعن في وصف حالة الفقد والنقص الذي يخلفه غياب الزوج، فالشاعرة هنا تبرز مدى حزنها وأسفها على فقدان شريك حياتها فقد كان لها الظهر الحامي لكن بعد

[1]: عفيف عبد الرحمن ، ديوان شعر الأيام، دار الصادر ، بيروت،ط1، 1998م، ص449

رحيله تركها في غمرة الغابرين بعدما كانت تمشي البراز التي تعني الشموخ والعلو والعزة والرفعة مبينة مكانة زوجها في مجتمعه متفاخرة به.

ولجت المرأة العربية للشعر لتعبير عن ذاتها وكينونتها وتعكس أحزانها إزاء قضية الموت وفقدان الأهل وهذا ما تجسد مع الشاعرة الخرنق بن هفان وهي ترثي زوجها وابنها :

لا يبعدن قومي الّذيـن هـم سـمُّ الغـداة وافة الجـزر

النـازلين بكـلِّ معترك والـطّيبـون معـاقد الأزر

قوم إذا ركبوا سمعت لهـم لغطـا من التأبيه والرجز[1]

أفاضت قريحة الشاعرة حزنا وأسفا على الفراق ابنها وأبيها وزوجها فتجمع بين عاطفتها الممزقة وحسرتها على قومها بعد خذلانهم لها، كما عددت صفات المرثي منها الانتحاب والندب وشجعت على الأخذ بالثأر وهو خطاب أنثوي يتجه نحو إثبات الذات والتحلي بمعاني الذكورية، ولذلك كانت الشاعرة تتموقع في خانة الذكر الذي يتحدث بلسان الذكورة ولذلك كانت متهجمة ،مندفعة ، فمن الناحية النفسية وبعدما فقدت الابن والأب والزوج كان عليها أن تستجمع قواها بالحديث عنهم في قصيدة واحدة وتتشجع بشجاعتهم حتى تستطيع مواجهة كل القوم بعد خذلانهم لها .

كذلك فجعت جليلة بنت مرة بوفاة زوجها على يد أخيها جسّاس فراحت تقول :

ياعيني فابكي فإنَّالشرَّ قد لاحـا واسلبي جمعك المخزون سفَّاحا

هذا كليب على الرّمضاء منجـدل بين حـزامى علاه اليوم أرماحا

وتغلبيون قد قامـوا بنصـرته وكنتـم وجـلال اللـّه أوقاحا

قد كان تاجا عليهم في محافلهـم وكـان ليـث وغلا للقرن طراحا [2]

تخاطب جليلة عينها وتحثها على البكاء إزاء ما أصابها من فقد زوجها ونطلب من عينها أن تنزل دمعتها من شدة الحزن والفاجعة ،فقد فقدت زوجها على يد أقرب الناس إليها أخيها فهاهي جليلة تؤكد وجودها وحضورها وسط رفض قبيلة الزوج بوصفها أخت القاتل فبعدما طردتها أخت كليب، فسارعت الشاعرة إلى تبرير موقفها وتبرئة نفسها مما فعله أخيها فأنشدت تقول :

[1]: خالد الأزهري، كتاب شرح التصريح على التوضيح بمضمون التوضيح عن النحو،دار الكتب العلمية ،بيروت ،م1 ،2001م،ص123

[2]: عبد مهنا، معجم النساء الشاعرات في الجاهلية والإسلام ، دار الكتب العلمية ، بيروت،م1، 1999م، ص39

يا ابنـــة الأقوام إن لمت فلا تعــجلي باللّـــوم حتى تسألي

فـإذا أنـــت تبـينـت التـي عندهـا اللـــوم فلومي واعذلي [1]

ردت جليلة في قصيدتها بلطف ونادتها بنداء قريب وهذا من الأنساق المضمرة التي لاتعني القرب المكاني ولا الزماني بل قرابة النسب والدم فهما أبناء العم أولا وأصهار ثانيا وفي هذا نوع من الاستعطاف والتذكير بما بينهما من صلات طيبة ، ثم عاتبتها عتاب رقيق لايحمل حقدا ولا غضبا وأتى البيت الثاني بأداة شرطية لتبين لابنة عمها أن لا لوم عليها ولا عتاب وتقول أيضا :

فعلُ جسَّاس على وجديّ به قاطعٌ ظهري ومدن أجلي

لو بعين فقئت عيني ســوى أختها فانفقأت لم أحفل [2]

تواسي جليلة أخت زوجها وتذكر جساس لتوضح النسق الخفي وتؤكد أنه هو القاتل وهي لاذنب لها فيها، وقد صاغت الإحساس النبيل في قولها (فلو فقئت عين –على سبيل الثأر-بعين أخرى غير أختها فانفقأت لم أحفل) تريد في نفسها تغيير ما حدث وتغيير القاتل لتعود إلى حياتها الطبيعية البعيدة عن الثأر.

واستمرت معاناة جليلة في جل قصائدها فقالت :

تحمل العين قذى العين كمـــا تحمل الأمُّ قذى ما تفتـلـي

إننّـــي قـــاتـــلـــة مقتـــولة فـــلـــعل الله أن يرتاح لي [3]

تصف في هذه الأبيات مدى حزن الشاعرة وتأثرها فهي تتحمل المسؤولية، وتشبه حالها بحال الأم التي تتحمل مسؤولية صغارها فقد صورت حالتها النفسية الباطنية التي أصبحت بين نارين نار توقد وراءها وقع موت زوجها كليب ونار توقد أمامها حيث المطلوب الثأر من أخيها فالشاعرة أصبحت في موقف مأساوي يشر بالأحزان .

ولعل الصورة الرثائية أصبحت أكثر عقدة وتمزقا للعواطف، نظرا لتداخل المشاهد الحسية التي تسيطر على صاحبها وهذا ما نراه في شعر ليلى الأخيلية التي رثت زوجها توبة بن الحمير :

---

[1]: ابن رشيد القيرواني ، العمدة في صناعة الشعر ونقده، مطبعة الأمين الهندية، بيروت،ط2 ،1920م ،ص13

[2]:المرجع نفسه، ص13

[3]: المرجع نفسه ، ص14

لعمركما بالموت عـار على الفتى إذا لن تصبه في الحياة المعابـر
وما أحد حي وإن كـــان سـالما بـــأجـلد ممن غيبته المقابـر
ومن كان ممَّا يحدث الدَّهر جازعا فلا بدَّ يوما أنّ يرى وهو صابـر [1]

تجمع الشاعرة هنا بين العاطفة والعقل تحت إطار فلسفي وإنساني ينظر بنظرة العمق لحتمية الموت فقد تعقدت اللوحة الرثائية للشاعرة بين القلق وتفاقم الانفعالات وسيطرت الاضطراب مما يجعله حافزا لمعرفة طريق الحياة.

وكذلك هيفاء بنت صبيح القضاعية قالت بعدا وفاة زوجها :

ابـكي وابكـي بإسفـار وإظـــلام علـى فـتى تغلبي الأصل ضـرغام
قل للحجيب لحاك الله من رجـل حملت عار جميع الناس من سـام
والله لازلـت أبـكيـه وأنـــدبـه حـتَّى تـزورك أخـوالي وأعمـامي [2]

تدعو الشاعرة نفسها إلى البكاء الشديد والحسرة واللطم على الوجه لما حل بها من فجع وفقد فقد ابتلت بفراق زوجها الذي كان الحامي والفارس المقدام لقومه أهل تغلب فقد أصبحت حالتها مزرية بعده مليئة بالبأس والاستسلام مفتخرة بأصله ، فقد قالت بنت الشاطئ : بأن المرأة بطبيعتها تجيد الرثاء ، وأنها بسبب مشاعرها المرهفة تستشار أمام فجيعة الموت ". دلالة ذلك أنها أكثر تأثرا من الرجل ، ومما شك فيه أن ألآلام والأسى تزداد حدة لدى المرأة الشاعرة.

كذلك لم تغفل الشاعرة عن رثاء فرسان ورجال قبيلتها وشجعانها الذين سقطوا دفاعا عنها وعن أعراضها في ساحات المعارك والحروب الكثيرة التي كانت تحدث بين القبائل العربية ومن ذلك قول الشاعرة أميمة بنت عبد الشمس :

ألا عـــيـــن فـابـــكيـهم بـــدمـع مـنـك مستغرب
وهـم أصلي وهـم فـرعـي وهـم نسبي إذا أنـــسـب
وهـم مـــجـدي وهم شرفـي وهـم حـصـني إذا أرهـــب [3]

إنّ الحزن والبكاء والعاطفة التي امتلكتها الشاعرة الجاهلية صادقة ليس لها مكان للتجمل والتزييف معبرة عن عظيم فقدها وحزنها الشديد مفتخرة وواصفة الحرب وأهوالها. و من هذا المنطلق جمعت الشاعرة

[1]: مي يوسف خليف ، الشعر النسائي في أدبنا القديم ،مكتبة الغريب، ص101
[2]: بشير يموت ، شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام، ص 44
[3]: المزرباني، معجم الشعراء، تح، فاروق أسليم ، دار الصادر، بيروت،2015، ص953

في هذا القول بين لغة المرأة الرقيقة، ولغة الحروب الشرسة المتسمة بالاندفاع والإقدام، وهكذا تميزت هذه المساحة الأدبية الضيقة بغنى في المعاني إن على المستوى اللغوي أو الفني أو الأدبي . إنه خطاب ثر يجمع بين سلاسة الخطاب الأنثوي، وشظايا الصراع الذكوري .

وتقول خولة بنت حسان بن ثابت في رثاء زوجها بعد أن قتل مع قومها في الحرب :

يا خليـــــلي نابني ســـــهدي لـــــم تنم عيني ولم تكدْ

فشرأبى ما اسيـــــــــغ ومـــا وأشتكي مـا بـي إلى أحـدْ

مثل ضوء البدر صورتـــــــه ليـــــس بالزميلـة نـكد[1]

تبين الشاعرة الأرق الذي انتابها والسهر الذي حرمها لذة النوم فبات الليل مصدر العذاب وآهات الحنين وأوجاع الشوق ،وفي نفس المنوال أفاضت الشاعرة عاصية البولانية شعرا بعد الهزيمة التي لحقت بقومها فرثتهم في هذه الأبيات قائلة :

أعاصب جودي بالدمـوع الكواكـــب وبكى لك الـــــويَّلات قتـــلى محارب

فلو أنَّ قـــومي قتـــــلهنَّ عـمارة من السـرورات والرؤوس الـــذوائب

صـــبرنا لمـــــا يأتي به الدهر عامدا ولـكنهـــما اثـــارنا في المحـــــارب [2]

راحت عاصية تبكي قومها بكاء شديدا إزاء ما حدث بعد ملاقاة حتفهم في الغزاة على يد العدو ولعل من بين الأنساق المضمرة التفاخر بالقوم وادعاء الشجاعة.

[1]: زكي مبارك، مدامع العشاق،دار الجيل، بيروت،2008،ص82

[2]: زينب بنت فواز، الدر المنثور في طبقات ربات الحدود ، المطبعة الكبرى الأميرية،ط1، ص326

ثانيا : دلالات الشجاعة وخطاب الذكورة

وبناءا على ما سبق ذكره ، فإن المرأة في العصر الجاهلي كانت تحاول بكل ما أوتيت من قوة أن تثبت ذاتها وحضورها في كل المجالات كلما أتيحت لها الفرصة لذلك، على الرغم من المكانة الاجتماعية التي كانت تحتلها في ذلك الوقت ، وفي هذا الصدد فإنّنا نحسب أن الشاعرة المرأة تمكنت من أدوات القول والطرح وصياغة الشعر وحياكة النظم، فقد كانت تجتهد أكثر من نظيرها الرجل في تأصيل كيانها ومكانتها من باب إثبات الذات، فلا غور أن نجد الشاعرة المرأة تخلع لباس أنوثتها وتتجرد من عواطفها وأحاسيسها الرفيهة وتلبس عباءة الرجل وتلتحف بكساء الذكورة فيميل قولها إلى الغلظة في طرح المعاني والميل إلى الاقتناء الخشن من الألفاظ لتتشبه بالرجال ،إنها حيلة نفسية لاشعورية تلجئ إليها الشاعرة لتجابه الرجل وتواجهه من ناحيتين الناحية الاجتماعية لتثبت علو كعبها وجدارتها في مجتمع لا يعترف إلا بالرجل، ومن الناحية النفسية الأدبية لتبرهن على كفاءتها الشعرية التي لا تقل شأنا عن شعر نظيرها الرجل، وبناءا على هذا التأسيس نلفي قول الشاعرة هند بنت عتبة مثلا :

نحـــن بنـات طارق نمشي على النمـارق
مشيّ القطي اليارق المـــسك في المفـارق
والـــدر في المخانق إنْ تـــقبلوا نعـانـق
أو تـــدبـروا نفارق فـــراق غير وامـق [1]

(نحن بنات طارق) فهذا القول ماهو إلا نسق مضمر يحمل في طياته بنية نفسية قبل أن تكون بنية أدبية تنزوي تحت طياتها معاني الحضور بدل الغياب، والقوة بدل الضعف، ولو قسناها بالحركات النسوية الحديثة والمعاصرة لكانت هذه الحركات التي واجهت المجتمع الذكوري، وفق هذا التحديد تظهر أن الشاعرة كانت سباقة إلى الدعوة للتحرر، فها هي هند بنت عتبة تبث الحماسة في رجالات قومها للحرب، وهي تؤكد على وجودها في هذه الحرب، بما يظهر الأنا العليا الأنثوية (أو الأنا المتضمنة في النحن)، وكأنها تحمل في طيات قولها نظرة استشرافية تسبق حركة تحرر النسوية المعاصرة، وذلك بمحاولة فرض وجودها وسط عالم ذكوري من خلال ولوج ساحات الوغى ، ولذلك لا تتوانى في إظهار حضورها الذاتي، وتبيان طغيانه في المقول الشعري، ولذلك قالت نحن بنات طارق ولم تقل نحن أبناء طارق . إنه طغيان اللغة الأنثوية والإصرار على حضور النظم النسوي على حساب الوجود الذكوري

1 : بشير يموت، شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام ، المكتبة الأهلية، بيروت ،1934م،ص42

ومن هذا المنظور شاركت المرأة الرجل جبنا إلى جنب مع الرجال في الحروب وغيرها لغرض أن يشرفن على تمريض الجرحى ، كما في الوقت نفسه ذاته دعم الرجال على الثبات في ساحات الوغى.

وتميزت المرأة بصفة الشجاعة ورجولة واستخدمت غرض الهجاء لتبين قوتها كما فعلت حميدة بنت النعمان بن بشر حيث انها لم تخرج عن سنن الجاهلية من حيث الذم الجسدي كقولها في زوجها الحارث وهي تهجوا فيه :

نكحت المدينيّ إذا جاءني فبالك من نكحة غاوية

كسول دمشق وشيّابها أحبُّ إليها من الجالية[1]

ونلاحظ في هذا الهجاء نوع من الذم فالشاعرة راحت تعبر عن ذلك في هذه الأبيات دلالة منها على كمية الكره التي تكنه الشاعرة لزوجها متخلية عن خطابها الأنثوي والجانب العاطفي الطبيعي في المرأة .

كذلك ناقشت المرأة العربية الشاعرة موضوع التحريض وكان لها دور في دفع وزرع الفتن والتشجيع على الأخذ بالثأر كما فعلت الشاعرة ماريا بنت الديان :

قل للفوارس لا تألأعيانهم من شر ما حذروا ومالم يحذروا

التاركين أبا الحصين ورائهم والمسلمين صلاءة بن العنبر

لما رأيت الخيل قد طافت به شنجّت شمالك في عنان الأشقر[2]

نرى أن الشاعرة جمعت بين غرضي الرثاء والتحريض وتظهر حزنها على فراق مرة بنت عاهان واحدة من سيدات قومها ودعت أهل قومها لأخذ الثأر من قاتلها ،وفي ذلك ذكر بعض الشعراء مدى شجاعة المرأة العربية ومدى دهائها وحكمتها ، محاولة توثيق أحداثها ، والاندفاع إلى الحث على الاستمرار فيها دون استسلام ولا قبول الهزيمة ، وقد رصدت بعض نساء تغلب وبكر حرب البسوس :فكان منهن جليلة البكرية أخت الجساس وأسماء التغلبية أخت كليب وأمامة بنت كليب ، فإذا توقفنا عند الحرب الأولى وظروفها وجدنا قصتها مدونة في كتب التاريخ ، إذ يظهر جليا سبب اندلاعها ودور المرأة في نشوبها، ذلك بسبب البسوس خالة الجساس حول أغر القوم ، وإذا انتقلنا مع أبي الفرج إلى موضع آخر من كتابه رأيناه يعرض موقف جليلة بنت مرة و أخت جساس وما دار بينهما وبين النساء في المأثم من الخوار ، وانتهى بإخراج جليلة من مأثم زوجها

[1]: بشير يموت، شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام ، ص174

[2]: المرجع نفسه،ص67

بعد أن طردتها أخت كليب قائلة .... ياهذه اخرجي عن مأتمنا فأنت أخت وشقيقة قاتلنا فطردت جليلة وغادرت نحو بيت أبيها ووردت أبيات في غاية الروعة:

يا ابنة الأقــوام إن شأت فـلا تعجلي باللوم حتى تســألي

فـــــإذا أنـــت تبنيـت الـــذي يوجب اللوم فلومي واعذلي

إن تكن أخت امرئ ليمت عــلى شـــــفقٍ منــها عليه فافعلي [1]

يقول ابن أثير معلقا عن هذه الأبيات: وهذه لو نطق بها الفحول المعدودون من الشعراء لاستعظمت فكيف بامرأة وهي حزينة في شرح تلك الحال المشار إليها "[2].يظهر من معنى القول عظمة هذه الأبيات وقوتها رغم ما تعانيه الشاعرة من الحزن وأسى على فقدانها زوجها وطردها من قبيلته وتوعد أهله بالثأر من الذي قتله وفي مقطع أخر ردت أخت كليب على جليلة قائلة :

أخت الجسّاس تواري وارحلي عن فنانا اليوم ثمَّ انتــقلي

أنت ألقيـت وأغّــريت بـنـــا ســترّى منَّا ضرام الشــغل

كنت بالأمـــس تغـّرين أخي وتمـــنيه بـــها لـــم يفعل

يا بني بكـــر هلموا شمـروا سوف نفنيكم غدا بالمنصل [3]

"تبدو هذه الأبيات تفيض غضبا وانفعالا وتهديدا ووعيد وتحرض القوم على أخذ الثأر من بني بكر ممزوجا بنوع من الفخر فهذه كانت صورة المرأة في العصر الجاهلي فقد اتسمت بصفة الشجاعة والعصبية مستلهمة ذالك من رجالات قومها، وهي تتكلف جاهدة من أن تظهر وجهها القبيح الذي تخلي عن أنوثته لصالح أنا أنثوي يريد أن يتكلم بلسان الرجال في مقام يستحق أن يتكلم بهذا اللسان ، ولو لم تفعل ذلك لأختل النظم بأكمله .

يورد المرزباني كذلك من شعر النساء ما نظمته امرأة قائلة حسب ما أورده :

إنْ يظفروا يجردوا فينا العزل أيهـــا فـــداء لكم بني عجل

[1]: مي يوسف خليف، الشعر النسائي في أدبنا القديم ، مكتبة الغريب،القاهرة ، ط1999،1م ،ص79

[2]: المرجع نفسه ،ص79

[3]: نفسه،ص 80

وقالت كذلك :

إن تـــهـــزمـــوا نعانـق ونـــفـــرش النـــمـــارق

أو تهـــزمـوا نـــفـــارق فـراق غـــيـــر وامـــق [1]

ساهمت المرأة في إشغال نيران الحروب، فقد كانت عضوا فعالا في انبثاقها وجاءت في رواية أبي الفرج :"في أخبار النابغة الجعدي من إغارة بني كعب على بني أسد حيث أصابوا منهم سبيا وأسرى فركبت بنو أسد، حتى لحقوهم بالشرف فعطفت بنو عدس بن ربيعة فذادوا عن بني أسد حتى قتلوا منهم ثلاثين رجلا وردوهم ولم يظفروا منهم بشيء، وتعلقت امرأة من بني أسد بالحكم عمرو بن جعدة وقد أفردها خلفه فأخذت بضفيرته ومالت به فصرعته ، فعطف عليه عبد الله بن مالك بن عدس فضرب يدها بالسيف فقطعها وتخلصه ."[2]فخلاصة هذا القول أن المرأة الجاهلية رفضت أن تقع سبيه وعبدة فدافعت عن نفسها وقتلت الفارس الذي أراد أن يسلب حريتها فكان جزاءها أن نالت ما يناله الفرسان في الحروب وقد ساندت المرأة الرجل في الحروب بالتحريض على الانتقام، وقالت كبشة أخت عمرو بن معد يكرب في تحريض قومها على الثأر لأخيها عبد الله :

وأرسل عبد الله إذا حان يومـــه إلى قـــومه لا تعقلـــوا لهم دمّـــي

ولا تأخذوا منهم إفالا وأبـــــكرا وأنـــزل في بيـــت بصعدة مظلم

ودع عنك عمرا إن عمرا مسالم وهل بطن عمروا غير شبر لمطعـــم

فـــإنَّ أنـــتم لم تثأروا واتديتم فمشـــوا بأذان النـــعام المصلم [3]

مما سبق ذكره فإنّ الشاعرة الجاهلية ظلت وفية لقيمها وقيم مناصرة قبيلتها على الأعداء وهذا الشاهد من قول كبشة فقد بينت مدى قوة المرأة أو على الأقل محاولة تبيان مدى قوة المرأة، فعلى الرغم من حزن الشاعرة على فراق أخيها إلا أنها كانت تحاول أن تستجمع قواها إلى الدرجة التي ذهبت فيها إلى تحريض قومها للانتقام والأخذ بالثأر من الأعداء وعدم قبول الدية ، ومن ثم فإن هذا الخطاب قبل أن يكون خطابا فنيا فإنه خطاب سيكولوجي يعبر عن دواخل المرأة الجاهلية وهو لا يظهر إلا في ثنايا اللغة . و في هذا الصدد تستبطن الشاعرة خطاب الفحولة في ثنايا اللغة المكتوبة أكثر مما تظهر ، وفي هذا الصدد تجمع في هذه القصيدة بين الكلام الفج الذي يعبر عن خشونة قائله ، وبين اللوم الذي كان لا بد منه .

---

[1]: أبي عبد الله المرزباني ، أشعار النساء ، تح سلمي مكي ، عالم الكتب ،2009م ، ص252

[2]: أبو فرج الأصفهاني ، الأغاني، مكتبة الهلال ،بيروت ،ج5،2000م ، ص29

[3]: مي يوسف خليف ، الشعر النسائي في أدبنا القديم ، دار الغريب ، القاهرة،1991م،ص80

يعد هذا الجمع من المعاني خليط أدبي سيكولوجي كانت تشعر به ساعة القول فهذه القصيدة في رأينا ما هي إلا نتاج نفسي انعكس في نتاج أدبي تغنى بمعاني الرجولة أو الدعوة إلى التحلي، ولم تكن لهذه الدعوة أن تكون مقنعة إلا إذا كانت مبطنة بمعاني الرجولة في حد ذاتها .

ونجد في خطاب أخر كذلك الشاعرة أُمامة ابنة كليب متأثرة بوفاة أبيها فراحت تخاطب عمها المهلهل :

أتلهو بالملاهي والخـــــمور ولا تدري بعاقبة الأمور ولا تدري

ولا تدري بأنَّ كليب أضحى قتيـلا عـــنـــد جسَّاس الغدور

فواعجبا للجسَّاس وعمروا لقـــد جسـروا عـلى أمر نكـــير [1]

تظهر شجاعة الشاعرة في هذا الموضع لأنها فارسة من فارسات العرب ، فقد دخلت على الشيوخ العرب حينما أرادوا إصلاح ذات البين بين المهلهل والجساس فرفضت أخذ الدية وحرضت عمها على الحرب والاقتصاص لوالدها ، حيث لا يتقيد مفهوم الثأر بحدود قتل القاتل إنما تجاوزه إلى قتل الجماعة مقابل واحد وهذا ما دعت إليه أمامة .

في حين مزجت الخنساء بين غرضي الرثاء والتحريض مع الافتخار فقالت :

وأفنـــى رجـالي فبادوا مـــعا فـــأصـبح قلبي لهم مستـــفزّا

لـــــذكر الذين هـــم في الهياج للمستضيف إذا خاف عـــزا

كـــأنّ لم يكونـوا حمـــى يتقىإذا الـــنـّاس مـــن عـــز بـزا

ونلبس في الحرب نسيج الحديد ونـــلبـــس في الأمن خزّا وقـــزّا [2]

نرى في موقف الخنساء الممزوج بالحزن والرثاء مع الفخر القبلي والتغني بالعصبية القبيلة:فشكلت الخنساء لوحتها من الفخر من ضمير الجماعة، وقد غطى على كل الأبيات وانسحب عليها في موضع الفاعلية في قومها والمفعولية لخصومهم (....) فيكفي أن تقول رجالي ، لتجد بعد ذلك نفسها في قوتهم وعظمة مكانتهم ." يتضح أن الخنساء شديدة القوة والعظمة ، فقد قارنت أهل قومها في الحروب وفي الأمن فقالت (نلبس في الحروب نسج الحديد) [3]أي أنهم في الحروب أقوى وإذا جاءهم مستغيث لبسوا خزا وقزا فكانوا أهل اللطافة والمودة ونصرة المظلوم .

---

[1]: مي يوسف خليف ، الشعر النسائي في أدبنا القديم ، دار الغريب ، ص 80

[2]: نفسه ، ص81

[3]:مي يوسف خليف ، الشعر النسائي في أدبنا القديم ،ص83

ومن هذا المنظور تعتبر الشاعرة نفسها من فصيلة الرجال حينما يقتضي الأمر لذلك، وما قولها(ونلبس في الحرب نسيج) بضمير الجمع " نحن" إلا تعبير عن استعدادها لولوج ساحة الوغى ودخولها ميدان المعركة وهي لا تمانع أبدا من لبس الحديد ، وهو لباس الرجال المحاربين لتقاتل مثلما يقاتلون ، وعليه يمكن تأويل هذا المكتوب من جهتين متممتين إحداهما للأخرى ، فمن الجهة الأولى تعبر الشاعرة عن دخولها المعركة بلباس المقاتلين الشداد من الناحية المادية الملموسة ، ومن جهة أخرى فإن هذا اللباس المادي يقابله لباس فني أدبي ألبست من خلالها القصيدة بلباس الألفاظ التي تعبر عن خشونة قائلتها ، ومن ثم فإن الشاعرة لبست وألبست لتعبر بذلك عن فحولة امرأة لا نجدها عند كثير من الرجال ، وهي في المقابل لا تستغني عن أنوثتها وحسها الأنثوي حينما لا يستدعى الأمر أن تتخلى عن أنوثتها ، لذلك قالت في مقابل القول الأول: ونلبس في الأمن خزا و قزا أي نلبس الحرير ، وهذا دليل على أن الشاعرة لا تنفصل عن أنوثتها من أجل أن تفعل ذلك وإنما فقط حينما يتطلب الأمر أن تنسلخ من جلدتها لتدافع عن أصلها وشرفها وشرف قبيلتها .

وفي ضرب أخر قالت عاتكة بنت عبد المطلب متفاخرة بقومها :

سائـــل بـنـا في قـومـنـا وليكف من شـرَّ سماعه

قـيسـا ومـا جـمعوا لنا في مجمـــع باق شنـــاعه

فـيـــه الـسـنور والـفنا والكبـش ملتمع قناعـــه

بـعـكاظ يعش الـناظـرين اذا هم لمحوا شفاعه[1]

صورت المرأة الشاعرة مدى فرحها وفخرها بعد انتصار قومها رغم العدد الكبير لجيوش العدو وقتل فارسهم فاعتمدت على صيغة الجمع أو اللغة الجماعية لتزيد من شجاعة وتحريض قومها. ومن هذا المنظور تحتفي الشاعرة بنصرها كفرد من أفراد القبيلة الذين حاربوا وشاركوا في الانتصار ، وهي تتحدث بصيغة الجمع الذي اندمج فيها "أناها" الأنثوية في ال " نحن" الجمعية الذكورية

وفي شاهد أخر رثت تماضر بنت الشريد السلمية ابنها ، وفي طيات رثاءها هجت حذيفة بن بدر قالت :

حذيفة لا سقيت من الغوادي ولا روتك هاطلـة نـداهـا

كـمـا أفجعتني بفـتى كـريـم ذا وزنت بني عبس وفاها [2]

[1]:سعيد الأفغاني، أسواق العرب في الجاهلية والإسلام، دار الكتب العلمية، دمشق،1937م،ص180

[2]: بشير يموت ،شاعرات العرب في الجاهلية الإسلام ،ص44

وجهت الشاعرة خطابها الوعيد للقاتل مذكرة إياه بخصال وقيم ابنها الحميدة ،فقد كان أكرم فتى في قومه فخطابها يكشف نسقا مضمرا يعكس مدى تأثيرها بخطاب الرجل الذي يصور تفكيره وقوته فقد تجلت الذات الأنثوية في هذا الرثاء الذي يمثل المنقذ من الهيمنة والتسلط الذكوري فهذه ما هي إلا ردة فعل عبرت عنها عندما رأت أقرب الناس إليها منها لم يأخذ بثأره فهي متأثرة بطابع القائم على الأخذ بالثأر .

ولعل أهم سبب لوقوع هذه الحروب الدامية ،من حيث كون شعر المرأة يقوم بالدور التحريضي للأخذ بالثأر و الذي يظهر من نافلة القول. إن الكثير من الحروب التي وقعت في الجاهلية وعرفت بأيام العرب كانت معظمها استجابة للتحريض الذي بثته المرأة الشاعرة، فالمرأة تلعب دورا نفسيا في حفز الرجل على مواجهة الأخر وذلك حتى لا يشعر بالدونية أمامها فكانت هذه المزاوجة في صالح الشعر ، "كموقف ليلى بنت المهلهل إلى مواقف الأخريات ممن دفعن القوم دفعا إلى الدفاع عن شرفهن ، فكانت الحرب هي الوسيلة المؤكدة لهذا الضمان الذي يضاف إليه مقدرة المرأة على اشغال الحرب بين عصبيتين ."[1]

فالشاعرة ليلى بنت لكيز ذات تجربة تمثلت في الإختطاف فراحت تنشد :

ليّـت البراق عين فترى ما ألاقي مـــن بلاءٍ وعـــنا

يا كليبا وعقيلا إخوتي يا جنيدا ساعدوني بالبكـا

عذبت أختكم يا ويلكم بعذاب النكر صبحا ومسا [2]

ناجت الشاعرة ابن عمها البراق الفارس المغوار وأخويها أن يساعدوها ويخلصوها من الأسر الذي فيه محاولة إخفاء حزنها وتبيان شجاعتها أمام العدو الأعجمي .

وفي نفس السياق نرى حزن وبكاء أم الأغر البكرية وتحريض قومها وشجاعتها في هذه الأبيات :

ألا فابكـي أعـيني لا تملي فـــلي بمـصابنا أبدا عويل

فلا سلمت عشيرتنا وعادت إذا صرع ابن روحان النبيـل

إذا رحتـــم وخلفتم هبلتم لغـــرثـــان فلا راح القبيل [3]

نرى من خلال هذه الأبيات التصريح بالحزن أمام المصيبة التي أصابت الشاعرة إزاء فقدها لغرثان إلا أن الأبيات تحمل معاني أخرى تحت غطاء مضمر فهنا تعاتب قومها وتسألهم كيف تركوا غرثان ولم يقوموا حمايته .

---

[1]: مي يوسف خليف ، الشعر النسائي في أدبنا القديم ،ص82

[2]:بشير يموت، شاعرات العرب في الجاهلية والاسلام،ص32

[3]:المرجع نفسه،ص35

وتكتمل هذه الفكرة بأهمية المرأة في ذلك العصر كونها الداعم الرئيسي للرجل بصمودها وشجاعتها أمام العدو وتصور ذلك بالطريقة الشفاهية عبر الشعر.

ثالثا : الخطاب الأنثوي من منظورالأنا الذكوري

شكلت المرأة الركيزة الأساسية للمجتمع الجاهلي فقد حظيت بمكانة مرموقة لدى الشاعر العربي فقد تغنى بها وبمآثرها وتفنن في وصفها ، فهي المستودع الآمن لكل رجل فقد كانت مصدر فيض قرائح فحول الشعراء منذ الأزل ، حيث لم تخلوا قصائدهم ومجالسهم ومقدمات أشعارهم من ذكرها ، فقد ذكر ابن قتيبة في كتابه الشعر والشعراء :" سمعت بعض أهل الأدب يذكر بأن مقصد القصيد أنما ابتدأ فيها بذكر الديار والدمن والآثار، فبكى وشكى وخاطب الربع ، واستوقف الرفيق ، ليجعل ذلك سببا لذكر أهلها الظاعنين عنها ، إذا كان نازلة العمد في الحلول ، والظغن على خلاف ما عليه نازلة المدر لانتقالهم من مكان إلى مكان وانتجاعهم الكلأ وتتبعهم مساقط الغيث حيث كان ، ثم وصل إلى النسيب فشكا شدة الوجه وألم الفراق ، وفرط الصبابة والشوق ليميل نحوه القلوب ويصرف إليه الوجوه وليستدعى بها الإصغاء الاستماع إليه لا التشبيه قريب من النفوس ، لائق بالقلوب لما قد جعل الله في تركيب العباد من محبة الغول ، وإلف النساء فليس يكاد أحد يخلو أن يكون متعلقا منه بسبب..."[1] من خلال القول يتضح أن الشعر الجاهلي لايكاد يخلو من ذكر المرأة وتغني بجمالها في مقدماتهم الطللية والبكاء عليها فالمرأة رافد من روافد الإحساس بالجمال فموضوع المرأة في الشعر الجاهلي يترك أثر بليغ في ذات المتلقي.

فقد مثل هذا التيار الكثير من الشعراء على رأسهم عنترة بن شداد الذي لم ير التاريخ مثله فهو ذلك الفارس البطل والمثال الذي يحتذى به لدى العرب وقد تشكلت هذه الصورة البطولية من خلال شجاعته التي لاتقهر رغم ماعاناه من قسوة وتهميش بسبب نسبه ولونه ، إلا أنّه في نفس الوقت شاعر عاشق مرهف الإحساس تجرحه الكلمة وهو الجارح بسيفه ، فهو لا يوري ولا يتمهل في ميدان الغزل فسعى للغوص في أعماق آلامه للتعبير عما مر به من خلال هذه الأبيات :

بسمت فلاح ضياء لؤلؤ ثغرها فيه لداء العاشقين شفاء

سجدت تعظّـــم ربها فتمايلت لجـلالها أربــابنا العظماء [2]

---

[1]: ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ، الدار العربية للكتاب ، بيروت ،ط3،1983م،ص20-21

[2]: يوسف بن سليمان ، أشعار الشعراء الست الجاهليين، تح لجنة إحياء التراث العربي ، دار الأفاق الجديدة ، بيروت ،م3،ط"،1983م،ص144

يمثل الشاعر طبقة الشعراء المغرمين أصحاب القلوب الضعيفة أمام جبروت الحب الصادق العفيف، فهو العاشق والفارس الذي يصارع ويخوض الحروب ولا يهاب الموت إلا أنه يهاب الوقوف لحظة واحدة وجها لوجه أمام عبلة فراح يخاطبها :

لا تصرميني يا عبيل وارجعي في البصيرة نظرة المتأمل

فلربَّ أملح منك دلًّا فاعلمي وأقرَّ في الدنيا لعين المتجلي

وصلت حبالي بالّذي أنا أهله من ودّها وأنا رخيّ المطول [1]

يستحضر الشاعر محبوبته عبلة وسط غمرة الحرب وخضم المعارك فهي في خياله معه أينما حل وارتحل فقد تحول خطابه من ذكوري غليظ إلى خطاب أنثوي رقيق مفعم بالعاطفة فالمرأة بالنسبة له الواحة التي يستريح لها بعد عناء القتال وقسوة الحياة، ويستميل الشاعر بمحبوبته بسحر المقال واستم شعره بغلبة الحس الأنثوي والتحدث عن الشوق فقال :

عبيلة هذا درُّ نظم نظمته وأنت له سلك وحسن مبهج

وقد سرت يا بنت الكرام مبادرا وتحتي مهريّ من الإبل أهوج

ونجد عنترة في موضع آخر يفيض رقة وإحساس فيقول :

ولقد ذكرتك والرماح نواهل منّي وبيض الهند يقطر من دمي

فوددت تقبيل السيوف لأنّها لمعت كبارق ثغرك المبتسّم [2]

وجه عنترة بن شداد خطابه الشعري إلى عبلة في أوج غمار الحرب وصولاتها ، فهو يعبر بلغة رقيقة غاية في السبك والنظم لينزل منزلة المرأة لا شعوريا حتى يتمثل نفسيتها وفهمها ، فيرتقي إلى مستوى العشق الأزلي المتشوق لرؤية عبلة والتغزل بمفاتنها ، فالشاعر يصور ذلك بالرقة ومصداقية اللفظ والمعنى ليقع صريعا أمام هيام عبلة، فنجد في قوله " ثغرك المبتسم " أنّ الشاعر يمزج بين أناه المقاتلة بروح عبلة الأنثوية حتى يشعر بأنفاسها وعبقها في مكتوبه حتى يتجسد حبه لها ، فعلى الرغم من أنّ عنترة بن شداد بطبيعته الشديدة والقوية والمندفعة والتي جعلته يوظف أدوات الحرب في هذا المقام، إلا أنه لم يتخل عن ذاته الشاعرة الحالمة والمحبة من خلال جعل هذه الأدوات تنخرط في رومانسية جميلة تستحقها المحبوبة، حتى أنه جمع مالا يجمع في قول أقل ما يقال عنه استطاع أن يجمع الفصاحة والبلاغة وقيم الجمال في بيت واحد،

[1]: يوسف بن سليمان بن عيسى ، أشعار الشعراء الست الجاهليين ، ص144

[2]: عنترة بن شداد، الديوان ، تح يوسف عبد ،دار الجيل ، بيروت ،ط1،1992م، ص215

فإذا جمع بين السيوف التي لا تستعمل إلا للقتل وقطع الرأس وبين (التقبيل فوددت تقبيل السيوف لأنّها) ،فهو من هذا المنظور تخترقه معاني الحب والدفء ومشاعر الحب والرقة التي تجتاح المرأة وهو الشاعر الفارس المغوار، فهو في لحظة فارقة تبوأ مكانة محبوبته أو كمن كان يريد أن يتحدث بلسان محبوبته ويتجسدها قولا وفعلا. فيقول أيضا :

يادار عبلة بالجواء تكلّمي وعمي صباحا دار عبلة واسلمي

دار لآنسة عضيض طرفها طـوع العنـاق لـذيذة المبتسّم[1]

يصف الشاعر الحنين والأسى والشجن بعد ما يدور في ذاكرته من ذكريات رحيل الأحبة وخلو الديار منها فالشاعر تذكر منزل محبوبته وبكى عليها تعبيرا عن الحالة النفسية التي يمر بها فاتخذ من البكاء والعويل متنفسا للتخفيف عن حدة الانفعالات الناتجة عن الكبت النفسي، إثر فراق محبوبته ويقف على أطلالها ويسأل عن حالها وأخبارها بعد رحيلها فقد ملكت عبلة قلب عنترة فراح يغني بحبها غناءً بنغمة أنثوية مشبعة بالحزن والمرارة .

فأنشد يقول :

فـوقفت فـيها نـاقـتي وكـأنّها قدن لأقضي حاجة المتلّوم

وتحلّ عبلة بالجواء وأهلنا بالحزن فالصمّان فالمتلّثم [2]

توقف عنترة عند دار عبلة ليبكي مابه من شوق لأحبابه ،فالبكاء والنديب صفتا المرأة تبناها الشاعر تنفيسا عن همومه طمعا في جلاء أساه ومعبرا عن ما يختلج في وجدانه من حالات الشوق وإظهار الحب للحبيب في أبهى صورة .

وفي أبيات أخرى تغنى عنترة بعبلة فقال :

مهفهفة والسحـــر من لحـظاتها إذًا كـلمت ميـتا يقـوم مـن اللـحد

أشارت اليها الشمس عند غروبها تقول إذا أسود الدجى فاطلعي بعدي [3]

تغزل عنترة وتفنن في ذكر عبلة في هذه الأبيات منتقيا معاني وألفاظ غاية في الإيحاء تعكس الجانب النسوي الذي يتمثل في الحب الذي يكنه للمحبوبة فهي شبيهة الشمس في سحرها .

---

[1]: الزوزني، شرح المعلقات السبع ، تح لجنة التحقيق في الدار العالمية ، دار احياء التراث العربي،ط2001م ،ص245

[2]: محمد علي طه ، فتح الكبير المتعال إعراب المعلقات العشر ، مكتبة السوادي ، مج2،ص142

[3]: عنترة بن شداد، الديوان ، تح يوسف عبد ، ص215

قرب الشاعر الصورة للمتلقي ليشعر بألمه وإحساسه من خلال شعره بعد ما عاناه من ألم الفراق وجفاء الأحزان وهذا ما تجلى في قوله :

سلا القلب عمَّا كان يهوى ويطلب وأصـــبح لا يشـــكو ولا يتعّـتب

صحا بعد سكر وانتخى بعـد ذلّة وقلـــب الـــذي يهوى العلا يتقلّب

لى كـــم أداري مـــن تريد مذلّتي وابذل جهدي في رضاها وتغضب [1]

فأشعار عنترة تدل على أنه متيم بعبلة فقد خيم الحزن وسكن قلبه بعد أن صدته ورفضته، فهو يعبر عن عاطفة إنسانية بطرب حزين يشبه الخطاب الأنثوي حيث يكافح به قساوة البيئة والحياة ولوعة الفراق وحرقة الشوق .

لكن صفة البكاء والجشن لم تكن فقط في الغزل فقد أنشد الشاعر مقدمات عدت رمز اليأس وتشبيه الألم بالألم الذي تمر به المرأة فالنفس الإنسانية في تركيبتها تتشابه فلا عجب أن الإنسان يعبر ويبكي فهذه طبيعة إنسانية محضة .

خص شعراء العصر الجاهلي الوقوف على الطلل بكثير من المحبة ، ولجأوا إلى مخاطبتها برهبة شديدة حيث أطلقوا عليها أسماء كثيرة طمعا في نيل الاستعطاف وفي ذلك قول يحي الجبوري :" أما المطالع الغزلية ففيها إحساس دقيق بالجمال ، وتذوق لمحاسن المرأة ، وقارئ لمشاهد الارتحال والفراق ، يشعر بهزة من شوق والحنين لهذا الفراق ، وحين يتذكر المرأة ونجد في هذا الشعر إقبال على الحياة وامتزاجا بها وتعلقا بمباهجها." [2] فتحذ الشاعر الجاهلي الغزل والطلل موضوعان بارزان في الشعر العربي فهما الأقرب إلى الوجدان والقلب تعبيرا عما في داخلهم من مشاعر وحزن وأسى ، فكانت تجربة امرؤ القيس الذي جمع بين عزة الملوك وتمرد الصعلوك وعربدة الماجن فكان شعره يعكس صورة شفافة عن شخصيته فكان شعره غاية في الجمال والنظم ، فهو أول من وقف وأستوقف لذا فإنك تجد شعره مليء بالعاطفة الإنسانية فقال :

قفا نبكي من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللّوى بين الدّخول فحومل

فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها لما نسجتها مـن جنـــوب وشـــمال

تـــرى بعـــــر الأرام في عـرصـاتها وقـــيعـــانها كأنّـــه حـــب فلفـــل [3]

---

[1]: عنترة بن شداد، الديوان ، تح يوسف عبد ، ص245

[2]: يحي الجبوري ، الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه، مؤسسة الرسالة ، بيروت،ط5، 1986م، ص150

[3]: أبو عبد الله بن الحسين الزوزني ، شرح المعلقات السبع ، ص 38

بدأ الشاعر قصيدته بطلب من أصحابه الوقوف ومساندته في محنته، محاولا أن يجعل كل منا يبكي ويتحسر فالشاعر هنا يسعى لإراقة الدمع لأن فيها تخفيفا عما جرى له فالشاعر يعكس الوجدان الحقيقي لكوامن النفس التي أصبحت خاضعة لذكرى المحبوبة فلنمس في هذا المقطع حسا أنثويا فصدق مشاعر امرؤ القيس شبيه بصدق شاعرية المرأة فالبكاء عاطفة تأملية عابرة يستوقف من خلالها الإنسان اللحظات التي ترتبط بالأماكن والديار .

ازدادت حالة امرؤ القيس توهجا وانفعالا فقال :

لمن طلل أبصـــرته فشجاني كخّط زبور في عسيب يـمان

ديار لهند والرباب وفـــــرتني ليـــالينا بالنغف من بـدلان

ليال يدعوني الهوى فأجبته وأعين من أهوى إلى يرواني [1]

يتساءل الشاعر عن الطلل فقد أثارت شجونه وأحزانه ، بعد تذكر ما كان بها ، فأصبح يتحسر ويبكي أسفا على خلوها، فالمرأة هيا العنصر المثير لعاطفة امرؤ القيس ، فهذه الأطلال تذكره بهند فخيم الحزن على الشاعر لما خلت الديار من أهلها .

وأما عن طرفة بن العبد فقد حكمت عليه قبيلته بالابتعاد والهجر بعد أن طفشت منه ومن أفعاله فكان شعره متميز بالحس الإنساني ،فكان إضافة لعالم الشعر العربي فقد دمج بين عمق واحساس الموت والحياة فعبر عن حزنه لفراق محبوبته فقال :

لخـولة أطلال ببرقه ثهمـد تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد

وقوفا بها صحبي عليّ مطيهم يقـولـون: لا تهلك أسى وتجلّد [2]

بدأ طرفة بن العبد بتذكر الحبيبة والبكاء عليها فكاد إن يهلك من وطأة الحزن فاسترجع ذكرياته ساعة الفراق:" استطاع طرفة في أبياته الطلية القليلة ان يختصر بذكاء ما اعتاد الشعراء الآخرون على التعبير عنه في أبيات كثيرة، فلا أقرب إلى الإنسان من الوشم الذي يتخلل جلدة وجسده، فجعلنا بتينك الكلمتين باقي الوشم نعيش قرب الأطلال والوقوف عليها، كأنها جزء منا وكعادة الشعر الجاهلي يعزي طرفة نفسه على لسان رفاقه على المصاب الجلل الذي ألم به مكملا بذلك ملامح الصورة التي نحن بصدد رؤيتها "[3]

---

[1]: عبد الرحمن المصطاوي، ديوان امرؤ القيس،دار المعرفة ، بيروت،ط2، 2004م، ص 158

[2]: ابو عبد الله بن الحسين الزوزني ، شرح المعلقات السبع ، ص 38

[3]: خالد حسين ابو عمشة، قراءة جديدة في معلقة طرفة بن العبد ،الشاملة الذهبية ، 2015م ،ص6

فقال :

وأمرُّ مالقيت مـن ألـــم الهوى قرب الحبيب وما إليه وصول

كالعيس في البيداء يقتلها الظّمأ والماء فـــوق ظـــهورها محمول [1]

انطلق طرفة بن العبد في فنه الأخاذ فتأججت عواطفه، فأبدع نغما شجيا يفعل فعل السحر في النفس السامع والقارئ، فالشاعر قد أحس بالضياع بعد فقدان المحبوبة والمكان والقبيلة فأجهش بالبكاء والألم معبرا عن صورته الحسية الأنثوية النابعة من الأنا الذكوري .

أما زهير بن أبي سلمة فقد اتحذ من الغزل والوقوف على الأطلال مجالا للتعبير عن عواطفه ورقة إحساسه رغم شجاعته وشدة بطشه إلا أنه يمثل الرجل العربي المفعم بالرقة والإحساس فقال :

أمن أمّ أوفى دمنة لم تكلّم بحومانة الـــــدرّاج فالمتلّثـــم

ودار لـــها بالرقمتين كأنّـها مراجع وشم في نواشر معصـــم

بها العين والأرام يـــمشين وأطلاؤها ينهضن من كلّم مجثم [2]

يقف الشاعر وقفة حزن واسى على زوجته أم اوفى بعد رحيلها ومضي عشرين سنة، فهو يطلب من الديار ان تكلمه عنها وعن أخبارها، فقد بحث عنها لكن وجدها بعد عناء وشقاء طويل، فخص الشاعر بكثير من الإحساس والمودة المتبادلة.

وأما عن لبيد بن ربيعة فقد مشى في حزنه وأساه متشبها بالمرأة فقال :

والعين ساكنة عـلى أطـــلائها عوذا تأجّلُ بالفـــضاء بهامها

وجلا السيول عن الطلول كأنّها زبـــر تجد متونهـــا أقلامـــها

أو رجع واشمة أسـف نـــــورها كففا تعّرض فوقهنّ وشامها

فوقفت أسألها ، كيف سـؤالنا صما خوالد مـــا يبين كلامها [3]

يتنازع الشاعر مع عواطفه وأحاسيسه وميوله للعالم الحسي الرقيق فكان يعبر عن ذلك الحزن والبكاء متأثرا في ذلك بصفة المرأة في البكاء والجشن ليصور الجانب الإنساني للشاعر الجاهلي .

---

[1]: مصطفى الغلاييني ، كتاب رجال المعلقات العشر ،المطبعة الأهلية ، بيروت ، 1914م ، ص25

[2]: أبو عبد الله بن الحسين الزوزني ، شرح المعلقات السبع ، شرح القاضي المحقق، دار الحرم للتراث ، القاهرة، ط2، 2014م ، ص114

[3]: المرجع السابق ،ص174

وقال في موضع آخر :

هل تعرف الدار والأطلال والدمنا زدن الفؤاد على عـلاتـه حـزنا

دار لأسمـــاء قـد كانت تحلّ بها وأنـت إذ قـد كانـت لكم وطنا [1]

ساهمت المقدمة الطللية في بكاء وحزن الشاعر فقد شكى وخاطب القوم عن مكان ديار المحبوبة فديارها قد حلت محلها إثارة العواطف.

بعد معاناة الشعراء من وطأة الحروب لم يجدوا سبيلا للتنفيس عن حالهم إلا عن طريق الشعر فهذا حال عبيد بن الأبرص وهو يبكي دياره وأهله بعد إبادتهم في الحرب :

لمن طلل لم يعف منه المذنـب فجنبـا حـــبر قد تعّفى فواهـب

ديار بني سعد بن ثـــعلبة الأولى أذاع بهم دهـــر على الناس رائـب

فأذهبهم ما أذهب الناس قبلهم ضراس الحروب والمنايا والعواقب [2]

يبكي ويتحسر الشاعر على خلو ديار قومه وما حل بهم من دمار، بعد أن كانت تفعم بالحيوية والأناها قد أصبحت خالية ولم يبقى منها سوى اثر الطلل ، وهذا الأخير فقد حرك عواطف الشاعر وهزه ما رأى من خراب وخلو للديار فالشاعر يحس بالضياع .

وأما الأعشى فقد كان له رأي في هذا ، فقد عرف بصناجة العرب لكثرة تغنيه بالشعر فراح يذكر محبوبته فقال :

صادت فؤادي بعيني مغزل خذلت ترعى أغنّ غضيضا طرفه خـــرقا

وبـــــارد رَتِل عـــذب مـــذاقتـــه كأنّـــما عل بالكافـــــور واغتبقـا

وجيد أدماء لم تذعـــر فـــرائضها تـــرعى الأراك تعاطى المرد والورقـــا

وكفـــل كالنـــّقا مـــالت جوانبه ليست من الزلل أوراكا وما انتطقا [3]

يعبر الشاعر عن حبه عن طريق الغزل الذي سجل فيه الشاعر عواطفه ورغباته ومكنوناته الخفية لينزل مستوى المرأة في تعبيرها من خلال غذوبة المعنى ورقته .

---

[1]: اسامة بن منقذ،كتاب المنازل والديار ، المكتب الإسلامي ، فلسطين ،ط1 ، 1965م، ص33

[2]:عبيد بن الأبرص، ديوان عبيد بن الأبرص ، تح كرم البستاني، دار الصادر، بيروت ط1900، ص27

[3]: ميمون بن قيس ، ديوان الأعشى الكبير ، تح محمد حسين ، مكتبة الآداب ، القاهرة ،2016م، ص 6-7 بتصرف

وأيضا الشاعر عمرو بن كلثوم الذي اجتمعت فيه سمتين بارزتين ندر تلازمهما في شخص واحد ،فقد جمع بين الشجاعة والشعر فهو شاعر متمكن وفارس فتاك فقال أبيات في الغزل تنسينا مدى شجاعة ورجولة هذا الشاعر وتأخذ بنا لعالم مليء بالعواطف والأحاسيس

قال :

جلبنا الخيل مـــن كنفي أريـك عـــوابـــس يـطلّعن من النقاب

كـــأنّ إناثها عقـــبـــان دجـن إذا طـــؤطئن فـي بـــلـــد يباب

صباحهنّ عن عرض تـمـــيم وأتـلف ركـضـنا جـمـع الربـاب [1]

فالشاعر يوضح لمحبوبته مدى شجاعته وتذكره إياها في أوج غمار الحرب ، فإحساس الشاعر غالب هنا لدرجة التأنيث في التعبير ورقة الألفاظ .

وأما حسان بن ثابت فقد تناول في شعره الطلل والبكاء :"فالطلل يحرك سواكن الشاعر ويوقظ أشجانه ويثير في نفسه شعورا حادا بالألم ، ويدفعه التذكر إلى استحضار المحبوبة، فينهمك التغني أساسا بشعرها وعينيها وقوامها وتهاديها في سيرتها ، فتتشكل من ذلك صورة للمثل الأعلى النسائي، هي صورة الفاتنة الممشوقة القد الأسيلة الخد ساحرة العينين الناعمة اليدين ، هي صورة متناقضة تماما لواقع المرأة التي كانت في حقيقتها تتضور جوعا وعطشا ، وتتألم من لفح الهجير ولذع الزمهرير ، وقد بدى حسان من خلال الاستهلال هزيلا باكيا، مفارقا للنوم ، خاضعا لمحبوبة قوية ومتجبرة لطالما بذل جهودا مضنية توقا الى لقائها [2]." وجاء في قوله :

تـطاول بالخّمان ليلي فلم تكن تهم هـوادي نجمـــة أن تصوّبا

أبيـــت أراعيها كـــأنّي مـــوكل بها لا اريـــد النوم حـــتى تغيب

غوائـــر تترى من نجوم تخالـها مع الصبح تتلوها زواحف لغّبا [3]

فشعر حسان بن ثابت يتوخى الرقة في مخاطبة المرأة فرغم جبنه في المعارك فقد تميز شعره بقوة الإلقاء وجزالة الألفاظ وقربها من الجانب النسوي .

---

[1]: عبد الله البكري الأندلسي ، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، تح مصطفى يقا ، عالم الكتب ، بيروت ، 2009م ،ص 1396

[2]: محمد الأزهر باي ، حسان بن ثابت شاعر الجاهلية والإسلام، مركز النشر الجامعي ، تونس ،2005م، ص15

[3]:حسان بن ثابت ، ديوان حسان بن ثابت ، عبد الرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي ، بيروت ،2008م،ص17

كذلك صور النابغة الذبياني المرأة بألفاظ غاية في الرقة والسبك فقال :

صفراء كالسيراء أكمل خلقـها كـــالغصن في علوانـــه المتـأّود

والبطن ذو عكن لطيـــف طية والنـــحر تنفجه بثدي مقـــعد [1]

تغنى النابغة بمحبوبته ووصفها أوصافا رائعة وبكلمات منتقاة ورقيقة ليبين للمتلقي جمالها وشدة أنوثتها متخذا ألفاظا أنثوية في هذا التعبير الذي يعكس البعد و الترحال المفروض على حياة الإنسان الجاهلي فلم يجد الشاعر مايتغنى به غير جمال المرأة .

وفي الأخير فقد كانت المرأة مصدر إلهام لكثير من الشعراء فأجاد الكثير منهم وصفها ، فقد كانت رمزا للجمال والعذوبة فهي الأموالأخت والحبيبة ، وقد ذكرت في قصائدهم بأعذب الأوصاف وارقها فعبروا عن عواطفهم ومشاعرهم اتجاها بقوة الشعر والملكة اللغوية التي تميز بها هؤلاء الشعراء.

[1]:النابغة الذبياني ، ديوان النابغة الذبياني ، تح محمد ابو الفضل ابراهيم ، دار المعارف ، ط2، 2009م ، ص92

خاتمة

خاتمة :

نهاية عملي توصلت إلى نتائج أوجزها فيما يلي :

اختلفت منزلة المرأة عند العرب باختلاف المستوى الاجتماعي الذي تعيش فيه ووفق العادات والتقاليد من قبيلة لأخرى ، ففي بعض القبائل حظيت المرأة بمكانة مرموقة .

إن وضع المرأة لم يتغير على مر العصور من استحقار وتهميش وسيطرة العنصر الذكوري في مجال الابداع الأدبي ولعل من أبرز الأسباب التي أدت إلى افتقار المكتبة العربية للأدب النسوي راجع لتهميش المؤرخين والمدونين لهذا الموروث العربي .

الخطاب هو تعبير المتكلم والمخاطب عن معنى بطرق معينة قصد إيصاله وإفهامه للمخاطب لتأثير عليهم و استمالتهم .

الخطاب الأنثوي هو تعبير أو كلام قيل بصيغة أنثوية نابع من ذات المرأة وكينونتها، للتعبير عن حالتها وحياتها بطباع أدبي.

النسق هو ربط الكلام بعضا ببعض وعطفه وترابط الأشياء وتتابعها .تكمن وظيفته في الإخفاء وكشف ما وراء السطور ، أما النسق المضمر فهو غطاء أو طريق يعبر من خلالها الكاتب دون الإفصاح المباشر.

عانت المرأة من ألم فقدان الأحبة والظلم والسبي ،فاتخذت من الشعر الرثائي مجالا للتعبير عن عاطفتها الصادقة ومشاعرها المتدفقة .فتميز شعرها على نظيرها الرجل بقوة الملكة اللغوية التي امتلكتها المرأة العربية .ودهائها وحكمتها .فاستعانت المرأة بغرض الفخر والتفاخر لتبيان عظمة المرثي .

ارتجلت المرأة الجاهلية الشعر لتبين ذاتها وسط زحام ذكوري .فلبست المرأة لباس الرجل في الشجاعة و قول الشعر وخشنة الألفاظ وجزالة المعنى ،وارتباطها الوثيق بالفصاحة والبلاغة اللغوية .

تميزت المرأة الشاعرة بالعصبية القبلية وجرأتها ومساندتها للرجل في كل الميادين ودفاعها عن شرفها كما ساهمت في اشعال الحروب وانبثاقها ذلك بالتحريض على أخذ الثأر .

تغنى الشاعر الجاهلي بالمرأة وتفنن في وصفها وعبر عن عواطفه ومكنوناته الدفينة اتجاهها عن طريق الغزل لينزل منزلة المرأة في رقتها بعذوبة المعنى .

حظيت المرأة بمكانة مرموقة لدى الشاعر العربي .فقد كسى الشاعر محبوبته بأبهى الأوصاف وأرقها وتغنى بأوصافها لكسب ودها ، فلم تخل قصائدهم من ذكرها والتغني بحسها .

اتخذ الشعراء من الغزل والطللملجأ للتنفيس عن ألمهم وشوقهم للديار والأحبة ،فشاعر يبكى على محبوبته تعبيرا عن الحالة النفسية التي يمر بها فاتخذ من البكاء والعويل متنفسا للتخفيف عن حدة

الانفعالات الناتجة عن الكبت النفسي إثر فراق محبوبته ويقف على أطلالها ويسأل عن حالها وأخبارها بعد رحيلها .

عبر الشاعر بالأنا الذكورية عن ألمه بصورة حسية ذات جانب أنثوي متخليا عن رجولته وشدته وقسوته التي عرف بها الرجل الجاهلي .

وفي الأخير هذه أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال هذا البحث،أرجوا أن أكون قد وفقت في إنجاز هذا العمل والكشف عن جزء من عطاء هذا البحث ، وأن يجبنا الزلل في القول حتى لا نضل،فإن أصبنا فمنه عز وجل وإن أخطأنا فمن أنفسنا ومن الشيطان ، والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسولنا الكريم وعلى آله الأطهار الطيبين .

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادروالمراجع :

المصادر:

القران الكريم برواية ورش

01: ابن رشيق القيرواني ،العمدة في نقد الشعر وتمحيصه ، شرح عفيف نايف ،دار صادر ، بيروت ، لبنان ،

02: ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ، دار العربية للكتاب ، بيروت ، ط2،1902م

03: ابن يعيش ، شرح المفصل للزمخشري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 2001م ، ج1، ص80

04: أبو العباس ثلعب ، شرح ديوان الخنساء ، تح : أنور أبو سويلم ، دار صادر ، بيروت ، 1951م

05: أبو تمام ، ديوان الحماسة ، شرح المرزوقي ، تح أحمد أمين وعبد السلام هارون ، لجنة التأليف ،مصر ، 1951م ، ج1.

06: أسامة بن منقذ ، كتاب المنازل والديار ، المكتبة الفلسطينية ، فلسطين ، ط1،1965م

07:ابن عبد ربه ، العقد الفريد ،مطبعة الشرق ، مصر ، 1905م

09:أبو الفرج الأصفهاني ، الأغاني ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .لبنان ، مج11

10:الزوزني ، شرح المعلقات السبع ، شرح القاضي المحقق ، دار الحرم للتراث، القاهرة ، 2014م

11: الجاحظ ، البيان والتبيين ، تح عبد السلام محمد هارون ، دار الجيل ، بيروت ، ج1

النابغة الذبياني ، ديوان النابغة الذبياني ، تح محمد أبو الفضل ابراهيم ، دار المعارف ، ط2، 2009م

12:بشير يموت ، شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام ، المكتبة الأهلية ، بيروت ، ط1، 1934م

13:جورج غريب ، شاعرات العرب في الجاهلية ، دار الثقافة ، بيروت ،ط1، 1984م

13:حسان بن ثابت ، ديوان حسان بن ثابت ،تح عبد الرحمن البرقوقي ، دار الكتاب العربي ، بيروت،ط1، 2008م

14: خالد الأزهري ، كتاب التصريح على التوضح بمضمون التوضيح ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1، 2000م

15: رئيف الخوري ، التعريف في الأدب العربي ، لجنة التأليف المدرسي ، بيروت ، 1951م

16: رغداء ماريني ، شواعر الجاهلية ، دار الفكر ، ط1،دمشق ، سوريا ، 2002م

17: زينب بن فواز ، الدر المنثور في طبقات ربات الجذور ،تع محمد أمين ضاوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1، 1914م

18: عبد الله الغدامي ، الخطيئة والتفكير من البنيوية إلى التشريحية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط1904،4م

19: عبد الله الغدامي ، النقد الثقافي في قراءة الأنساق الثقافية ، المركز الثقافي ، دار البيضاء ، المغرب ، ط3، 2005م

20: عبيد ابن الأبرص ،ديوان عبيد ابن الأبرص،تح ، كرم البستاني ، دار صادر ، بيروت ، ط1، 1900م

21: عنترة بن شداد ، الديوان ، تح ، يوسف عيد ، دارالجيل ، ط1، بيروت ، 1992م

22: عبد الرحمن مصطفاوي ، الديوان لمرؤ القيس ، دار المعرفة ، بيروت ، ط2، 2004

23:محمد الأزهر باي ، ديوان حسان بن ثابت ، تح عبد الرحمن البرقوقي ، دار الكتاب العربي ، ط1، بيروت ، 2008م

24: ميمون بن قيس ، ديوان الأعشى الكبير ، تح ، محمد حسين مكتبة الأداب ، القاهرة ، 2016م

المراجع :

01: :إبراهيم عبد الرحمن الغنيم ، شعر النساء دراسة في خيال الشاعرة العربية القديمة ، مؤسسة الرسالة ، ط1، 2001م

02: خالد حسين أبو عمشة ، قراءة جديدة في معلقة طرفة بن العبد ، الشاملة الذهبية ، 2015

03:خلود العموش ، الخطاب القرآني دراسة في العلاقة بين النص والسياق ، عالم الكتب الحديثة ، جدار الكتاب العالمي ، الأردن، ط1، 2008م

04: زكي مبارك ، مدامع العشاق ، دار الجيل ، بيروت ، 2008م

05:عفيف عبد الرحمن ، ديوان شعر الأيام ، دار الصادر ، بيروت ، ط1، 1998

06: عبد الهادي الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت ، لبنان ، دط 1993

07: علي عثمان ، المرأة العربية عبر التاريخ ، دار التضامن ، بيروت ، 1976م

08:عز الدين مناصرة ، علم التناصوالتلاص ، دار مجدلاوي ، عمان ، ط3، 2006

09: مي يوسف خليف ، الشعر النسائي في أدبنا القديم ، مكتبة الغريب ، ج1،ط1، القاهرة

10:محمد الهادي الطرابلسي ، خصائص الأسلوب في الشوقيات ، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية ، تونس ، 1981

11:مصطفى صادق الرافعي ، تاريخ آداب العرب ، دار الكتاب العربي ، لبنان ، ج1911،3م

12 : مصطفى الغلايي ، كتاب رجال المعلقات العشر ، المطبعة الأهلية ، بيروت ، 1914م

13: محمد عابر الجابري ، بنية العقل العربي ، المركز الثقافي العربي ، المغرب ، ط1، 1986م

14:نعمان بوقرة ، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب دراسة معجمية ، جدار الكتاب العالمي ، عمان ، ط1، 2009م

15: يمنى العيد ، في معرفة النص ، دار الأفاق الجديدة ، لبنان ، ط1، 1983م

16: يحيى الجبوري ، الشعر الجاهلي وخصائصه وفنونه ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط5، 1986م

17: يوسف بن سليمان ، أشعار الشعراء الست الجاهليين ، تح لجنة إحياء التراث العربي ، دار الأفاق الجديدة ، بيروت ،ط3، 1983م

الكتب المترجمة :

01:سارة جامبل ، النسوية ما بعد النسوية ، تر أحمد الشامي ، المجلس الأعلى للثقافة ، ط1، 2002م

المعاجم اللغوية :

01:أحمد بن فارس ، معجم مقاييس اللغة ، تح عبد السلام محمد هارون ، دار الجيل ، بيروت ، ط13، ج2

02:ابن منظور ، لسان العرب ،دار الجيل ، بيروت ، مج 2، 1988م

03:الفيومي المقري ، المصباح المنير، تح عبد العظيم الشناوي ، دار المعارف ، ط2، بيروت

04:الزمخشري ، الكشاف ، تح مصطفى حسين أحمد ، دار الكتاب العربي ، ط1، 1987

05:الجوهري ، تاج اللغة وصحاح العربية المسمى الصحاح ، تحس هاب أبو عمرو ، دار الفكر العربي ، ج1، ص114

06:المرزباني ، معجم الشعراء العرب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط2، 1985م

07:عبد المهنا ،معجم النساء الشاعرات في الجاهلية والإسلام ، دار الكتب ، بيروت ، 1998م

08:لويس معلوف ، المجند في اللغة العربية ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، 1931م

09:يوسف محمد رضا ، معجم العربية الكلاسيكية والمعاصرة، مكتبة لبنان ، لبنان ، ط1، 2006م

المجلات :

01:إسماعيل خلياص حمادي ، النقد الثقافي ومفهومه ومنهجه وإجراءاته ، مجلة كلية التربية ، جامعة العراق ، ع13، 2013م

02:عبد الله ابراهيم ، اشكالية المصطلح النقدي والخطاب والنص ، مجلة الأفاق العربية ، بغداد ،ع 39، أذار 1993م

03:سعيد يقطين ، تحليل الخطاب وأبعاده النصية ، مجلة الفكر العربي المعاصر ، بيروت ، العددان 48-49، شباط 1989م

04:مها بك ناصر ، حركية الإبداع الشعري وإشكالية التصميف الشعري ، اتحاد كتاب العرب ، سوريا ، ع 494، 2012م

الرسائل الجامعية :

01:حوفي حسن عاشور صفاء ، قضايا المرأة المسلمة والغزو الفكري ، رسالة ماجستير ، جامعة غزة ،2005م

02:فاطمة صغير ، أساليب البيان في الشعر النسوي القديم من الجاهلية إلى العصر القديم ، أطروحة دكتوراه ، اشراف عبد الجليل مصطفاوي ،جامعة أبي بكر بلقايد ، تلمسان ، كلية الآداب واللغات قسم اللغة ،2013م

فهرس

شكر وعرفان	
إهداء	
مقدمة	أ
مدخل: المرأة العربية و إبداعهاالأدبي	
أولا : المرأة عند العرب	4
ثانيا : مكانة المرأة العربية في الساحة الأدبية	5
الفصل الأول: الخطاب الأنثوي والأنساق المضمرة	
أولا : مفهوم الخطاب لغة واصطلاحا	9
ثانيا: مفهوم الأنثوي لغة واصطلاحا	12
ثالثا : مفهوم النسق لغة واصطلاحا	13
رابعا : مفهوم المضمر لغة واصطلاحا	15
الفصل الثاني: الخطاب الأنثوي بين إثبات الذات ودلالات الشجاعة والأنا الذكورية	
أولا : الرثاء وتوكيد الذات	19
ثانيا : دلالات الشجاعة وخطاب الذكورة	32
ثالثا : الخطاب الأنثوي من منظور الأنا الذكوري	39
خاتمة	48
قائمة المصادر والمراجع	51
فهرس	57